الموقظة
من الموعظة

ليالي الطاعات

كتبه
أبو عبد اللّٰه
محمود بن محمد الحداد
عفا اللّٰه عنه

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضلَّ له
ومن يضللْ فلا هاديَ له
وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له
وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله
أما بعد
فقد تعجبُ مِن كلامي عن الليالي دون الأيام
ولا عَجَبَ
فإن عادة البشر في النهار الاشتغال بأعمال الدنيا
حتى إذا جاء الليل فهو محل اللهو واللغو والسهو
ليس معنى قولي استواء الناس في النهار
هم يستوون في الاشتغال
لكن النيات والأحوال تختلف أيما اختلاف .
وأثر الليل على النهار :
من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار
فالليل ميزان ، والنهار ميزاب !

ومن احتج باشتغال النـهار
ترى بمن تتشبه ؟!
(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا
يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا
بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [الفتح/11]
فهذا ليلك فماذا عذرك ؟!
نعم ليلك يتأثر بنهارك ، ونـهارك يتأثر بليلك
فمن صلح نـهاره صلح ليله
ومن صلح ليله صلح نـهاره
لكن لا تضيعك مسألة الدور
ابدأ بليلك حيث لا بشر معك يؤثر عليك !
هذا أحمد بن حنبل رحمه الله يقول :
إذا جاء الليل أفرح !
نعم لأنه سيخلو بنفسه يبكيها
نعم سيخلو لربه يشكو ويشكر

وهذا الكتاب
هو خاتمة أبواب كتابي الكبير : ليالي الأفراح
الذي كنت قد صنفتُه سنة عشرين وأربعمائة
وهو في أحكام الزواج
وقد رأيتُ إفراد هذا الباب
لتيسير النفع به لكل أحد .
وعسى أن ينتفع به كاتبه قبل كل أحدٍ !
فيا حسرة من انتفع الناس به
ولم ينتفع هو بما كتبه !
ويا حسرة من أرضى بالكلام ربَّه
ولم يمسَّ الكلامُ قلبَه !
ويا حسرة مَن ارتفع الناس بكلامه
واستفلَّ بسوء حاله أعلامَه !
فاللهم ارض عنا
واللهم أخْلِصنا لك .
والله المستعان .
وكتب أبو عبد الله
لليالٍ بقين من سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة
وألف .

من مقدمة الأصل

سأذكر لك المعنى الصحيح للفرح
وأنه الفرح للحق وبالحق.
أي الفرح لحقٍّ تحقق لك لا لباطل كسبته.
والفرح بحقٍّ لا أن تفرح فتعصي الله تعالى بإسراف ومزامير وتبرج و..
فالفرح شكر لا كفر .
وروي: ما من فرحة إلا بعدها ترحة.
(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء/35]
السراء والضراء
فكلاهما ابتلاء في الحال
كالليل والنهار في الزمان
(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ
إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)
[الفجر/15- 16]
الدنيا عدوة أولياء الله غَمَّتهم!
وهي عدوة أعداء الله غَرَّتهم!

وقيل: تبغي من الدنيا زيادتها
وزيادة الدنيا هى النقص !
زيادة المرء في دنياه نقصانُ
وربحُه غيرُ محض الخير خُسرانُ !
ألستَ مع من يقول :
أرى الدنيا لمن هي في يديه .....عذابًا كلما كثرت لديه!
تهين المكرمين لها بصُغْرٍ .. وتكرمُ كل من هانت عليه!
وقيل: متى يفلح من يَسُرُّه ما يَضُرُّه؟!
قلت: متى يفلح من يفرح بما يبرح، ومن اليوم يفرح بما به في النار غدًا يُطرح؟!
قيل : حزن الدنيا للدنيا يذهب بتفكره في الآخرة.
وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة .
وهَمُّك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها).
قيل : (لا تغتم إلا بما يضرك غدا، ولا تفرح إلا بما ينفعك غدا).
واغتم محمد بن سيرين- رحمه الله تعالى
فسئل: ما هذا الغم؟
فقال: هذا الغمُّ لذنبٍ أصبتُه منذ أربعين سنة!

نعم فكل نعمة لا تقرِّب من الله تعالى فهي نقمة.
فكل فرحة بسبب معصية أو بدعة
فهي ترحة لك في الدنيا والآخرة
وهي دليل على موت قلبك وفساد دينك.
فقد صرتَ ممن تسرُّه سيئتُه! فكيف تفلح بعدها؟
فإياك من السوأتين:
ا- الفرح على حرام وبدعة ومعصية نلتَها.
فإن من رضي بالحرام فهو كفاعله.
وإنما من وقع في حرام فلعل الندم والحزن
والبكاء إن لم يفارقه ما عاش
لعله يكون كفارة له.
وكذلك الفرح بما لا يفرح به إلا أن يكون مؤديًا
إلى طاعة.
تحسب أني آمرك أن تحزن حياتك كلها ؟
كلا والله بل افرح ولكن مع تجنب تلك السوأتين:
الفرح على باطل، والفرح بباطل.
ولي رجلٌ منصباً، فدخل عليه كلُّ معارفه للتهنئة!
وبقي رجلٌ واحدٌ لم يهنئه !

فقيل له
فقال: هو أولى أن يُعَزَّى من أن يُهَنَّى! هي ندامة
وانظروا إليه حين يُعزل
كيف سيكون حاله في الدنيا والآخرة !
هذا الليل قد أقبل
وقد أعدَّ له كلُّ قومٍ ما يناسبهم !
قيل: كانت ليالي بعض الصالحين كلها خيرًا :
لكأنها مِن حُسْنها أعراسُ !
قلت: أفضل الساعات ما كان في الطاعات،
وأفضل الوقت ما جنبك المقت،
وأفضل العمر ما نفعك في القبر.
فيا أيها المسافر أين زادك للسفر ؟!
كل ما كان من الأفراح متعلقًا بتاريخ النصارى
فهو بدعة، والفرح به في الدنيا
نقص في الدين وحزن يوم الدين.
وكل ما اتخذ شكل العيد من العادة السنوية أو
الشهرية من تعطل وأكل وزيارات
وأناشيد بلا أصل شرعي صحيح ظاهر
فكذلك.

هذا ولعل سائلاً يسأل:
لماذا ليالي الأفراح دون أيامها؟!
ا- واليوم إنما يبدأ عند العرب من غروب شمس اليوم السابق عليه، فليلة العيد قبل يوم العيد، وهكذا
والعرب إذا ذكروا الليالى في عددٍ أرادوا بها الليالي مع أيامها
فإذا قيل: عشر ليال تصير بأيامها .
2- وفرحة الليل أتمُّ الفرح وأكمله
وكذلك حزن الليل أشد حزن وأغمه، إذ
الليل تخلو فيه بنفسك وخاصتك
ومع ظلامه وسكونه وقلة مَن حولك فيه وقلة الشغل ينكشف لك الأمر
إن كان الفرح فرحًا أو الحزن حزنًا .
إن قومك يهربون من أنفسهم هرباً!
نعم ألست ترى الماجن يرفع صوت الغناء الذي لا يفهمه حتى تُصَمَّ له أذناه.

إنـه يريد أن يـهرب من شيء في نفسه !
إنـه لا يستطيع أن يجلس مع نفسه ويخلو بـها يفكر في حالـها ومآلـها .
كلُّ ساعة لا يُعصَى الله تعالى فيـها هي فرحـة .
وما من ليلـةٍ للمطيع إلا وهي فرحـة ! :
نعم فإن كانَ صائماً نـهارها , فأقبل الليل فأفطر :
فقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم :
(للصائم فرحتان :
فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه)
فرحته عند فطره بتمام صومه بنعمة الله عليه .
وقال صلى الله عليه وسلم :
(إن لله عند كل فطر عتقاء من النار وذلك كل ليلة) .
(للصائم عند فطره دعوة مستجابة) .
فما باله لا يفرح وقد بدأ ليله بهذا الخير كله .
ثم قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن لله عتقاء في كل يوم وليلة)
(رواه أحمد 2/ 254 وابن شاهين / 146 وغيرهما) .

فإن كان مخصوصاً بأيام الصيام كما سبق
وإلا فما له لا يفرح
لعله يكون من عتقائه تلك الليلة
والكريم لا يعود في هبته ولا يستردُّ عطيته
لكن يوفق بمَنّه وكرمه من أعطاه أن يشكر ويستقيم .
ثم ماله لا يفرح وقد قَدِمَ الليل ليخلو فيه بعبادة ربه – عز وجل .
هذا تراه كئيبًا حزينًا ، فقيل له
فقال : مضت الليلة من عمري
ولم أكتسب لنفسي فيها شيئاً
فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون [كلام الليالي / 33] .
إذا جاء الليل قال : ذهب من عمري يوم كامل !
فإذا أصبح قال : ذهبت ليلة كاملة من عمري !
[كلام الليالي /32] .
يحزن لذهاب يوم أو ليلة من عمره , ولكن :
يفرح أنها لم تمض
ببلية تُوبقه وفتنة تُرهقه ومذلة معصةٍ تُوثقه !

ويفرح أنه لم يكن آخر يوم ولا ليلة في عمره , بل مُدَّ له في عمره ليستدرك ما فاته .
(اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك فاغفر لي) .
كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فإذا غلبك ما كان يتمثل هذا العابد [كلام الليالي / 39 والمهروانيات / 35] :
إنا لنفرح بالأيام نقطعُها .. وكلُّ يومٍ مضى يُدْني من الأجلِ
فإنما نفرح كما قلتُ لك
لمضيها دون فتنة , ولعمرٍ جديد تستقبله بعدها .
إنه يستعد لمقدم الليل قبل قدومه ويودع النهار قبل ارتحاله بالذكر بعد العصر حتى غروب الشمس .
وإذا جاء الليل فاستفتحه بخير , واستقبله أحسن استقبال ليجعله الله لك ظُلْمَتَه نوراً .
فإذا غربت الشمس بدأ الليل كما قال الله تعالى :
(ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة/187] .

الباب الأول
ليالي الصلاة

يفتتح ليلته مستعجلاً
بعد غروب الشمس
قبل أن تطلع النجوم
نعم
قَالَ أَنَسٌ وغيره رضي الله عنهم :
كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ نَأْتِي بَنِي سَلِمَةَ ، وَأَحَدُنَا يَرَى مَوْقِعَ نَبْلِه .
بتلك الصلاة العجيبة ثلاث ركعات فقط
تعرف لماذا يفعل ذلك ؟!
لأن صلاة المغرب وتر النهار
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فهي ختم عمل النهار .
فاختم بخيرٍ لا بنومٍ !
بل يسارع قبلها
لما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صلُّوا قبل المغرب ركعتين
صلوا قبل المغرب ركعتين
صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء
ترى هل يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التأكيد الشديد على نفلٍ ليس بفرضٍ
ثم لم يذكر ثوابه
إلا لعِظَم ثوابه .
ومن صنّف في الترغيب والترهيب
إنما يذكر ماكان فيه ثوابٌ أو عقابٌ صريح .
.. ثم يسارع بعدها
إلى ركعتين
فقد روي انهما تُرفعان مع صلاة المغرب
ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ - يَعْنِي قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ - رُفِعَتْ صَلاَتُهُ فِي عِلِّيِّينَ .
يعني بعد أن يفرغ من الأذكار بعد الصلاة قبل أن يتكلم مع أحدٍ .
وقالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَوْ تَرَكْتُ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ لَخَشِيتُ أَنْ لاَ يُغْفَرَ لِي !

.. ثم ماذا تصنع بين المغرب والعشاء ؟!
قَالَ سَلْمَانُ رضي الله عنه:
عَلَيْكُمْ بِالصَّلاَة فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ
فَإِنَّهُ يُخَفِّفُ عَنْ أَحدكُمْ مِنْ حِزْبِهِ
وَيُذْهِبُ عَنْهُ مَلْغَاةَ أَوَّلَ اللَّيْلِ
فَإِنَّ مَلْغَاةَ أَوَّلَ اللَّيْلِ مَهْدَنَةٌ ، أَوْ مَذْهَبَةٌ لآخِرِهِ.
قَوْله مَلْغاة من اللَّغْو وَكَثْرَة الحَدِيث.
والمَهْدَنة من الهُدْنة وَهِي السّكُون
وَالَّذِي أَرَادَ بِهِ أَنه إِذا سَهِر أوّل اللَّيْل ولغا ذهب بِهِ النّوم فِي آخِره فَمَنعه من الْقيام للصَّلَاة.
وَبَعْضهمْ يرويهِ: مَهْدَرة أوّل اللَّيْل فِي مَوضِع ملغاة وَهُوَ قريب الْمَعْنى من ذَلِك .
فنِعْم الافتتاح يستفتح ليله
فليبشر :
من افتتح واختتم بخير غُفر له ما بينهما .
بل هي أيضًا ساعة غفلة
ما بين
نائمٍ ليصحو في ليل سوء ، أو ليبدأ ليل سوء
متيقظ لكنه في اللهو

وتعلم فضل ذاكر الله في الغافلين
زمانًا ومكانًا
إنه كالمقاتل بين الفارّين الهاربين .
تعرف لماذا عَظُمَ فضل الذكر في السوق
لأسباب كثيرة منها أنه مكان غفلة .
ذكرتَ الله تعالى حين وحيث غفل غيرُك .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ما بين المغرب والعشاء ركعتين ركعتين
هي (صلاة الأوابين) أوّابي الليل .
صحَّ من مرسل محمد بن المنكدر وموقوف محتمل لابن عَمرو رضي الله عنهما .
وذُكر عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه : (نِعْمَ سَاعَةُ الْغَفْلَةِ) .
وذُكِرَ عن أنس رضي الله عنه بأنها تأويل قول الله تعالى :
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا [المزمل/6]
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ [السجدة/16]
قال أبو عبد الرحمن الحُبُلي التابعي – رحمه الله تعالى :

(إذا صليت المغرب فقم فصلِّ صلاةَ رجلٍ لا يريد أن يصلي تلك الليلة :
فإن رُزِقْتَ من الليل قياماً كان خيراً رُزِقْتَه .
وإن لم تُرْزَقْ قياماً كنتَ قد قمتَ أول الليل) .
(وانظر لهذه الصلاة : ابن أبي شيبة 2/ 196 – 198 والطبراني في الأوسط /819 و 7245 وعلل ابن أبي حاتم / 514 والتهجد للآجري (38 – 48) وقيام الليل لابن نصر والتهجد لابن أبي الدنيا والزهد لابن المبارك 1256 – 1264 والترغيب لابن شاهين ص 130 – 135 وحديث أبي الفضل الزُّهْري 96 / 2 و 107 / ق / (5029 ...) وتسديد القوس من مسند الديلمي 148 / ق وتاريخ أصبهان 2/ 223 و 345 وأمالى أبي طالب 220 والمؤتنف 122 / 2 و 140 ق وابن عدي / عمرو بن جرير والموضوعات 2/ 119 والعلل المتناهية 1/ 453 والضعيفة 467 – 469 وتخريج الإحياء 1119 و 1156 – 1163 وموسوعة الأطراف 8/ 361 ولطائف بن رجب ط الرياض ص 137 و ...)
فلم يفتتح الليل بالنوم
لا بعد المغرب
ولا حتى بعد العشاء مباشرة
فقد صحَّ
عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
في فضل الصلاة ركعتين أو أربعًا بعد العشاء
كفضل صلاتهن من ليلة القدر .

وقال بعض السلف بقراءة سورتي السجدة
والمُلْك .
ولو جعل هذه الأربعة صلاة التسابيح
ومن زعم أن الحديث في ذلك لم يصحّ كابن
الجوزي وتبعه ابن تيمية والمنتسبين إلى السلفية
فلم يحقق الأمر ولا اتبع كلام أهل الشأن كما بينتُ
في غير موضع منها كتاب صلة الصلاة .
فإذا لم تنم بعد ذلك لما لا بد لك منه من طعام أو
حاجة
فلا تنم إلا وتصلي قبل ذلك ولو ركعتين
قاله سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى .
ولو صليت ركعة الوتر
فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير
واحدٍ من أصحابه ألا ينام إلا على وتر .
فإن كان ممن أكرمه الله تعالى بعادة قيام الليل
فأخّر الوتر إلى آخر الليل فقد أقرَّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك .
وإياك من السهر والسمر بعد العشاء

فقد نـهى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا سمرَ بعدَ العِشاء إلا لمصلٍّ أو مسافر
والمصلي هنا هو من يصلي صلاة الليل .
فكيف بمن يبتدئ ليلته من بعد العشاء ؟!
ومن العجب العجاب
أن ذاك الألباني يرى التفرج – ولا فرج ولا فرح بذلك – على المرناة (المعروفة بالتلفاز) على الأخبار وعالم الحيوان ونحو ذلك
ولكن قبل العشاء !
فأحل الصور المتحركة
وهو يحرم الصور الثابتة !
والأصل لهما واحد لمن يفهم الشرع والأمر
بل من يفهمهما يجزم بأن المتحركة أشد حرمة لأنها أشد مضاهاة لخلق الله من الثابتة !
إياك من مشايخ الفضاحيات الذي لا يظهرون إلا في ظلام الليل !
فهم ظلماتٌ بعضها فوق بعض
باعوا الدينَ مراتٍ بعَرَضٍ من الدنيا

فمَرَّةً بالإعلانات المصاحبة لكلامهم
وأخرى بالإعلانات التي تقطع كلامهم
وثالثة بفتنة الصور
ورابعة بفتنة الكلام
والله المستعان .
إياك أن تنام وقد ختمتَ يومك بمعصية
نعوذ بالله من سوء الخاتمة
سوء خاتمة اليوم
ألم أذكّرك برواية :
من أحسن بدء يومه وختمه
غفر الله تعالى له ما بين البدء والختام .
ولعله يكون سوء خاتمة حياتك كلها !
النوم موتٌ أصغر
بل قد يكون الموت الأكبر
ولذلك لا ينام أهل الجنة .
وعجبًا
ممن ينكر البعث ، ولا يذكر الموت
وهو يموت ويُبعَث كل يومٍ مراتٍ !

فلربما تأتي المنيةُ بغتةً
فتُساق من فُرُشٍ الى الأكفانِ
ألا تقول يا مسكينُ في أذكارِ نومك :
اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ
بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ
فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا
وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ
اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا
لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا
إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا
وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا
اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ .
ألا تقول يا مسكينُ إذا قمتَ من نومك :
الْحَمْدُ للهِ
الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ .
الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ.

ضحك الله تعالى إليه :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الثلاثة الذين يحبهم الله تعالى ويضحك إليهم
(6/ 2 وعبد الرزاق [20282] وو) :
رجلٌ له امرأةٌ حسناء وفراشٌ حسن , فيقوم من الليل يعالج نفسه في البرد ومن حلاوة النوم إلى الطهور وعليه عُقَدٌ عقدها الشيطان ليحول بينه وبين صلاة الليل , ترك فراشه ودفاءه , ثم قام يتوضأ فأحسن الوضوء , ثم قام إلى الصلاة .
فيقول الله تعالى لملائكته : انظروا إلى عبدى ثار – لم يقل قام – من فراشه ووطائه من بين حِبِّه وأهله وشهوته إلى صلاته
رغبةً فيما عندي ، وشفقةً مما عندى
ولو شاء رَقَدَ (لا يراهُ غيرى)
ما سألني عبدي فهو له (فإنى أُشْهِدُكم أني قد أمَّنْتُه مما خاف ، وأعطيتُه ما رجا) .
ورجلٌ كان في سفر ومعه ركبٌ , فساروا ليلهم حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مما يُعْدَلُ به ,

فوضعوا رءوسهم ، فناموا , فقام يصلي :
(فإني أُشْهِدُكم
أني أَمَّنْتُه مما خاف ، وأعطيتُه ما رجا) .
لما ركب علي رضي الله عنه دابته , فقال :
رَبِّ سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ
ثُمَّ ضَحِكَ
قيل: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ»
قُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ، يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهَ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ غَيْرَهُ .
فكذلك القائم إلى صلاة الليل
إذا ذكر ضحك الله تعالى إليه ضحك .
نعم تزعم محبة الله , ثم تنام والله يقول : هل من مستغفر , هل من تائب , هل من سائل ؟!
أليس كلُّ محبٍ يحب الخلوة بحبيبه لا يشغله أحدٌ عنه ؟!

فالآن حين يقوم والناسُ نيامٌ يخلو بربه لا يشغله عن ربه شيء , فكيف لهذا تنام عيناه أو قلبه ؟!
أقعدتك ذنوبك عن قيام ليلك
فكانت عقوبة ذنبك أن حُرِمْتَ من ربك .
قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :
أذنبتُ ذنبًا
فحُرِمْتُ قيام الليل ستة أشهر !
قال غير واحدٍ من السلف – رحمهم الله تعالى :
إذا لم تقدر على قيام الليل
فاعلم أنك قد كبلتك خطيئتك .
ولكن فاحذر المكر
فكم من ذنبٍ تذنبه بالنهار ، ثم لا يُحالُ بينك وبين قيام الليل
فاعرف أنك قد هلكتَ !
فإن عقوبة الدنيا على شدتها قد تكون تنبيهًا ونعمة !
ولكن احذر
فكم من قائمٍ

لم ينله من قيامه إلا السهر
وكلما اقترب باعده الله
تدري لماذا ؟
لأن الله يبغضه
لبدعته وضلالته التي يُصِرُّ عليها .
تعرف ما هي علامته ؟!
علامته أنه يزداد ضلالة مع صلاته هذه
ولا يهتدي للسُّنة ولا يدنو إليها
كالخوارج
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يَخْرُجُ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ .
وكذلك كلُّ أهل البدع من مُكِرَ به وفُتِحَ له باب عبادة بلا سُنَّة .
فأيُّ عجبٍ من مرجئ أعجميٍّ لا يفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من لم تنـهه صلاتـه عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله إلا بُعْدًا
لم يفهمه رواية ولا دراية
فحكم بجهله أصول الرواية والدراية
حكم على الحديث بالنكارة !
واستجهل فهم الصحابي والتابعي اللذيْن صحَّح
عنهما القول !
واستجاد قول ابن تيمية وفلان !
إنه ذاك الألباني في مفتتح أغلال ضعيفته !
إذا لم تنـهك صلاتُك
فإنما تُعابُ صَلاتُك وصِلاتُك
صلاتك فيها دَخَن، وصِلاتك فيها دَخَل .
جاء رجلٌ يصلي من الليل ويطيل
إلى فقيهٍ من أصحاب عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه
يقول : إن الشيطان يقول لي بأنك ترائي بصلاتك فهل أترك الصلاة ؟!
قال : لا ، ولكن زِدْها طُولاً .

فالشيطان أفسد عليك صلاتك
حتى لم تعد تنهاك فأصلح صلاتك .
كما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن فلانا يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق !
فقال : سينهاه ما تقول
أو قال : ستمنعه صلاته .
ولكن المرجئة وصل بهم الغلو في الإرجاء حتى قالوا :
لا يضرُّ مع العبادة والعلم شيءٌ
ولو كان البدعة الكبرى !
وسيئاته مغمورة في بحر حسناته !
أيها الحمقى
هل جاءكم بلاغٌ من الله أنه
قد قَبِلَ هذه الحسنات وعفا عن تلك السيئات ؟!
أما نحن فقد قرأنا قول الله تعالى :
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان/23]
وقرأنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي
يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا
فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا !
قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ !
قَالَ:
أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ
وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ
وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا !
أما نحن
فعلمنا إجماع أهل السنة
خلافًا لابن تيمية
أن عمل المبتدع غير مقبولٍ
كما بينتُ في النصيحة .
وكم من قائمٍ بجسدٍ لا قلبَ فيه !
نعم فالقلب الميت كالعدم !
نعم فالقلب الذي عليه أقفال الغفلة كالعدم !

وإلا
فأين الدموع
تنير بها ليلك المظلم وتؤنس بها وحشته ؟!
وأين قلبك
الذي من مناجاة ربك يكاد يبلغ الحلقوم ؟!
وأين شوقك
إلى من قمتَ إليه حتى لا تتهنى بالدنيا استعجالاً لرؤيته ؟!

فرحة الأرض
والملائكة وصالحي الجن به

سأذكرها لك من كتاب التهجد لابن أبي الدنيا :
ذُكِر أنه إذا قام العبد من الليل
تبشبشتْ به الأرض
واستنار له موضعُ مُصَلَّاه
وفرح به عُمَّار داره من مسلمي الجن
(19 و 20 و 21) وسكان الهواء (20 و 21 و 22)
واستمعوا لقراءته وأَمَّنوا على دعائه .
فإذا انقضت عنه ليلته

أوصت به الليلة المستأنفة فقالت :
كوني عليه خفيفة ,
ونَبِّهيه لساعته
وارحمي طولَ سهره إذا نام البطالون على فُرُشهم (15 و 21 و 27)
وناداه ملكاه : طوبى لك (19) .
وهبطت عليه الملائكة تستمع قراءته (20 و 338)
ولم يسمعه شيءٌ مِن خلق الله – عز وجل – إلا استحلى تهجده ودعا له بخير (21)
وربما تنزلت عليه السكينة (26)
وطرد مَرَدَة الشياطين وفساق الجن (27) .

فرحته بقيامه

إنه ينتظر مجيئ الليل
انتظارَه لمجيئ حبيبٍ غائبٍ
حتى قال قائلهم :
أهل الليل في ليلهم
ألذ من أهل اللهو في لهوهم !
وقال ثابت البُناني التابعى العابد – رحمه الله تعالى :

كابدتُ الليلَ عشرين سنة
وتنعمتُ به عشرين سنة !
إذا كان الصيف
فإن شدة الحر
وهي من علامات الساعة
كما ذُكِرَ في تفسير قوله تعالى :
إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [غافر/59]
تجعله يقوم من نومه لا يهنأ له نوم .
وإذا كان الشتاء
فمن كان يكرهه للكسل فيه للبرد
(الحلية 6/ 126 و المزى / داود بن رُشَيد)
فإنه تلين فيه قلوب العابدين
(الحلية 5/ 213 و 216)
ويفرحون به
فكان عُبيد بن عُمير – رحمه الله تعالى
إذا جاء الشتاء قال :
يا أهل القرآن طال الليل لصلاتكم وقَصُرَ النهار
لصيامكم

فاغتنموا إنه ربيع المؤمن حتى إذا احتضر لم يتأسف إلا على تلك الليالى الطويلة .

فإذا قام قام ليس كقيام المنافقين :

وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى [النساء/142]

بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال :

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ
أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَلَكَ الحَمْدُ
لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَلَكَ الحَمْدُ
أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَلَكَ الحَمْدُ
أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَلَكَ الحَمْدُ
أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ
لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ
وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ
فَاغْفِرْ لِي
مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ.
أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ
أَنْتَ إِلَهِي ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .
نِعْمَ الاستفتاح يستفتح به قيامه
حمداً لله تعالى أن أقامه وأحياه بعد موته
والناس مِن حوله نيامٌ كالموتى .
الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ .
الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ
رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ.
ترى ماذا سيكون حاله لو لم يقم ؟!
جيفة ترتع فى نوم طويل , وحسرة وندامة

كما قال القائل (تاريخ الخطيب 9/ 204 – 205) :
ألا في سبيل الله عُمْرٌ رُزِئْتُهُ
وفَقْدُ ليالٍ فات منها نعيمُها
أَأُغْبَنُ أيامى ولا أستقيلها
وتذهبُ عنى ليلةٌ لا أقومُها
أما ذاك البدن الخبيث وفيه الروح الخبيث
(المحمدين من الشعراء 1/ 150) :
نهارُ الصيامِ حلولُ الشقاءِ
وليلُ التراويح ليلُ البلا !
تَمَارَضْ تحلَّ لك الطيباتُ
وبعضُ التمارضِ كلُّ الشفا !
ذاك يستوحش من الليل وظلمته .
وأما صاحب الصلاة
فإنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
بَشِّرِ المَشَّاءين في الظُّلَم إلى المساجد
بالنور التام يوم القيامة .
وقال جُنْدب – رضي الله عنه – لمن ودَّعه
[لصلاة الفجر] (الزهد لأحمد / 22 والشعب 1873) :

أوصيكم بالقرآن
فإنه نورُ الليل المظلم ، ونورُ النـهار .
إنه يستفتح ليله بنشاط
فربما اغتسل كل ليلةٍ ليقف مصليًا طاهراً طيب الريح والثوب (تفسير آل عمران / 43 والحلية 5/ 222)
ويُسبغ الوضوء ويُتمَّه , ويُطهِّر فمه بالسواك
لأن القرآن سيمتلئ بقراءته فمه وقلبه
ولأن الملائكة ستدنو منه لتسمعه .
لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم
ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة والغبطة قد سكنوا إلى فُرُشهم ورجعوا إلى ملاذِّهم من الضجعة والنوم
قاموا إلى الله
فرحين مستبشرين
بما قد وهب لهم من خير على السهر وطول التهجد
فاستقبلوا الليل بأبدانهم
وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم (140) .

قال يحيى بن أبي كثير التابعي رحمه الله تعالى:
والله
ما [قَرَّةُ عين] رجلٍ خلا بأهله عروساً
أقرَّ ما كانت وآنسَ ما كان بأشد سروراً منهم
بمناجاة الله تعالى إذا خَلَوْا بهم (143)
وقيل : ينادى مناد : قم لصلاتك ,
لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل (244)
ولا ترك صلاته .
فهذه أول حلاوة القيام وفرحه وصلاته .
وكان من قام منهم للتهجد قام مسروراً
حتى إن رجلاً قام , فضربه البرد فآذاه , فذكر أن
قيامه نعمة من الله : أقامه وأنام هؤلاء (التهذيب / داود بن رشيد) فكما قال صلى الله عليه وسلم :
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ .
وكان منهم من إذا أراد التهجد لبس أطيب حُلَّةٍ
وجَمَّرها (بالطيب) النهار كله (181 – 186) .

الصلاة قرة العين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
جُعلتْ قرة عيني في الصلاة .

فمن كان يشبع من شيء
فلا يشبع المصلي من صلاته , ولا يَمَلّها
وكيف لا وهو إنما يناجي ربه
(طبقات أبى الشيخ 4/ 62) :
قرةُ عينيه دُجَى الظلام
كيما يناجي الله ذا الإكرام
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال كي يقيم الصلاة : أرحنا بها يا بلال .
أما المنافق فإنه يستريح منها لا بها !
نعم فهي عليه ثقيلة !
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم في صلاة الليل فيطيل الوقوف للقراءة حتى تورمت قدماه , ولم يفتر , شغلته حلاوة القراءة عنه ألم الورم .
ورجع أبو رَيْحانة – رضي الله عنه – من سفر غزوٍ طال به ابتعاده عن امرأته
فقام يصلي ركعتين
فنسي امرأته ! فما فرغ إلا على أذان الفجر .

فقالت له : أين نصيبى منك بعدَ هذا السفر ؟!
فقال : شُغِلْتُ عنكِ :
ما زال قلبي يَهْوِي فيما وضع الله تعالى من الجنة ونعيمها !
وقال عَدِيٌّ بن حاتم – رضي الله عنه:
ما دخل وقتُ صلاةٍ قط إلا وأنا أشتاق إليها !
ولا جاءت قطٌّ إلا وأنا مستعدٌّ لها .
(ابن المبارك ص 460 وابن أبي شيبة 13/ 515) .
قال يحيى بن أبي كثير – التابعي رحمه الله تعالى : والله ما (قرة عين) رجلٍ خلا بأهله عروساً أقر وأنس ما كان بأشد منهم بمناجاة الله تعالى إذا خَلَوْا به .
تَرِدُ عليه عجائب القرآن أموراً حتى ينقضى الليل ولم يفرغ من حاجته ولا قضى أربه (85 و 87) .
وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين طليعةً , فنام أحدهما ، وقام الآخر يصلي , ففطن به العدو , فرماه بسهم , فنزعه وأكمل صلاته , فرماه بسهم آخر , فأسرع في صلاته وأيقظ صاحبه .

فقال له : ما منعك أن توقظني لأول سهم ؟
قال : كنتُ في صلاةٍ فما أحببتُ أن أقطعها , وما قطعتُها إلا لردِّ العدو .
وقام غير واحد يصلي
فإما أن سقفاً أو حية سقطت , أو رجله قُطعت من الألم , ونحو ذلك
فما شعر بما حَدَثَ مما هو فيه !
ولما أرادوا قطع رجل عروة بن الزبير – رحمه الله تعالى – لمرضٍ فيها قطعوها وهو يصلي
(ترجمته في الحلية والصبر 154) .
فبطول التهجد تَقَرُّ عيون العابدين (25 و 212)
فالتهجد من رَوْح الدنيا (33)

فرحه إذا أصبح

إذا قام من الليل يتهجد
أصبح فرحاً يجد فرحاً في قلبه .
وإذا غلبته عيناه فنام عن صلاة الليل أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فَقَدَ شيئاً , وقد فَقَدَ أعظم الأمور له نفعاً (17 , 172 , 179) .

أصبح هؤلاء : قد مَلُّوا النوم والراحة .
أصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة :
شتان ما بين الفريقين (140) .
أصبحوا
بما أصابهم من القيام لله – عز وجل – في
أبدانهم فرحين
وبما يأمُلونَ من حُسْنِ ثوابٍ مستبشرين (141) .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يَعْقدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ
ثَلاَثَ عُقَد
يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ .
فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ
فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ
فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ
فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ
وإذا هو لم يستيقظ ولم يتوضأ ولم يصلِّ أصبحتِ
العُقَدُ على حالها وأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ
وتفاجُّ الشيطانُ حتى يبولَ في أذنيه, فيصبح
حزيناً مهموماً (296) .

قال الحسن : قال رجل من الصحابة – أو من المسلمين – لأخيه :
يا أخى , أخبِرْني عنك إذا أصبتَ من الليل حظه , أليس تصبح أخفَّ وأثلجَ صدراً وأمثلَ رجاءً منك إذا لم تصبه ؟
قال : بلى .
قال : فإنه كذلك (333) .
كم من قائمٍ
يحزنه طلوع الفجر يودُّ لو أن ليلَهُ طال
حتى كانوا يحبون الشتاء لطول لياليه كما قال معاذ – رضي الله عنه – وهو يحتضر وكذلك غيره :
ما آسَى على دنياكم
إلا على قيام ليلةٍ بعيدٍ ما بين طرفيها .
لولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ فى الدنيا .
قال شَريك :
(من كَثُرَتْ صلاتُه بالليل حَسُنَ وَجْهُهُ بالنهار) .
ليس فقط حُسْن الوجه , بل صلح نهاره

فمن صلح ليله صلح نهاره
ومن صلح نهاره صلح ليله ! .
ولي حفصُ بن غِياث القضاءَ على كراهةٍ منه لعلمه بالآثار في المنع من الولايات .
وكان يعقوب المشهور بأبي يوسف هو وأصحابه أهل الرأي قضاة على محبة منهم لذلك لعلمهم بالرأى !
فلما عُزل حفصٌ
قال يعقوب لأصحابه : هاتوا أقضية حفص لننظر فيها - يعني لينظر أخطاءه بها فيشنع بها عليه !
فنظر ، فلم يستطع أن يتعلق عليه بشيء !
فقال : ما أصنع به مع صلاته الليل ؟! يعني أن حفصاً وُفِّق للسَّداد بسبب صلاته في الليل .
(رواه المعافى فى الجليس – والخطيب 8/ 193)

ليالى الصالحين في نحو ذلك

1- قال يحيى بن أبي كثير التابعي – رحمه الله تعالى :
والله ما (قُرَّةُ عَيْن) رجلٍ خلا بأهله عروساً

أقرُّ ما كانت وآنسَ ما كان بأشدَّ منهم بمناجاة الله تعالى إذا خَلَوْا به .
2- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِى وَجْهِهَا الْمَاءَ .
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا
فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِى وَجْهِهِ الْمَاءَ
وفي رواية :
إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِى الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان .
3- وكان عمر – رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله , فيقول : الصلاة الصلاة , ويتلو هذه الآية : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا
لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه /132] .

4- وكان العلاء بن زياد التابعي – رحمه الله تعالى – يُحيي من الليل , فوجد ليلةً فترةً , فقال لامرأته : إذا كان ساعة كذا كذا فأيقظيني .
فأتاه آتٍ فى منامه , فأخذ بناصيته , وقال :
يا ابنَ زياد , قم فاذكر الله – عز وجل – يذكرك .
فما زالت تلك الشعرات قائمة حتى مات.
5- وكان حسان بن أبي سنان التابعي – رحمه الله تعالى – تقول امرأته :
كان يجيئ , فيدخل معي في فراشي , ثم يخادعني كما تخادع المرأةُ صبيَّها , فإذا علم أني نمتُ سَلَّ نفسه , فخرج , ثم يقوم فيصلى .

رواها كلها ابن أبي الدنيا في التهجد :
(1/ 143 و 2/ 249) وأيضاً أبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وذكر رمضان 297 وهو متفق عليه و 3/ 301 من طريق الموطأ وأيضاً ابن أبي حاتم وابن جرير وأيضاً الزهد لأحمد و 5/ 108) .

وقام عمر بن المنكدر يصلي
وأخوه محمد يداوي أمه ذاكراً لله محتسباً :
قال محمد : والله ما أحبُّ أني في مكان عمر , وعمر في مكاني ! – رحمهم الله تعالى .

وفَتَرَ عابدٌ عن ليله , وأخذه النوم , فرأى في منامه جارية حسناء بيدها ورقة فيها :

ألهتك لذة نومةٍ عن خير عيشٍ
مع الخيرات فيٍ غرف الجنانِ
تيقظْ من منامك إنّ خيراً
من النوم التهجد بالقران

أبو رَيْحانة – رضي الله عنه

(إن أبا ريحانة كان غائباً / 2) (قَفَلَ مِن بَعْثٍ غزا فيه /1) (فلما / 21) (انصرف / 1) (أتى / 1 قدم على / 2 جاء إلى / 3) أهله (فلما أتاهم / 3) (فـ / 1) تعشى / 21) (من عشائه / 1) (ثم دعا بوَضوءٍ فتوضأ منه / 1) (ثم / 2) (خرج إلى المسجد / 32) (إلى أصحابه يحدثهم , وتهيأت امرأته له / 3) (فـ / 32) (لما / 3) (صلى العشاء الآخرة / 32) (فلما انصرف إلى بيته / 2) (جاء إلى مسجد بيته يوتر , وجلست امرأته على الفراش في قبتها / 3) (ثم قام إلى مسجده / 1)

(قام يصلي يفتتح سورةً ويختمها / 2) (فقرأ سورة ثم أخرى , فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى / 1) .
(قال : فما زال قائماً وراكعاً وساجداً / 3) (فلم يزل كذلك / 2) (حتى طلع / 32) و (عليه / 3) (الفجر / 32) (حتى إذا أذن المؤذن من السَّحَر / 1) (وسمع المؤذن / 2) (فـ / 2) (شدَّ عليه ثيابه / 21) (ليخرج إلى المسجد / 2) .
(قال / 3) : (فأتته امرأته / 1)
فقالت (له / 32) (صاحبته / 2) :
(أيا أبا رَيْحانة / 21) (سبحانَ الله / 3) (قد / 1) (كنتَ / 2) (غزوتَ / 1) (فتغيبتَ / 1) (في غزوك / 21) (ما كنتَ / 2) (ثم قدمتَ / 21) (إليَّ / 1) (الآن / 2) (فـ / 21) أما (كان / 32) (لنا / 3) فيك (حظ / 21) (و / 21) نصيب ؟!
(فـ / 1) (قال : بلى / 21) (والله / 1)

(لقد كان لكِ نصيبٌ ، ولكن شُغلتُ عنك / 2)
(ما خطرتِ لي على بالٍ , ولو ذكرتُك لكان لك عليَّ حقٌّ / 1) !
(قالت : يا أبا ريحانة , وما الذي (عني / 2) ؟
(فـ / 3) قال : (ما زال / 32) قلبي يَهْوي فيما (وصف / 21) الله (لأوليائه / 3) (في الجنة / 3) (من لباسها وأزواجها ونعيمها / 21) (ولذاتها / 1) .
(و / 32) (الله / 3) (ما خطرتِ لي على قلبي / 3) حتى (أصبحتُ / 3) [و] (طلع الفجر / 2) [و] (سمعتُ المؤذن / 1) .
(وركب دابته , ورجع / 3) [إلى غزوه] .

رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (876 ومن طريقه في تاريخ دمشق 8/ 129 / ق وتهذيب الكمال 12/ 563 والإصابة 3/ 213) ح وقال في الحلية (2/ 29) : حُدِّثتُ عن عباس بن محمد بن حاتم (هو الدُّوري , ولم أجده في تاريخه): ثنا محمد بن مصعب
كلاهما (قال عبد الله : أخبرناح وعباس ثنا) عن أبي بكر بن أبي مريم (الغساني / 1) : (ثني / 1) ضَمْرة بن حبيب (بن صهيب / 1) (عن مولى لأبي ريحانة عن أبي ريحانة – وكان من أصحاب النبي صلى عليه وسلم / 1) .
ح ورواه أبو علي محمد بن أحمد بن الحَسن الصواف (وله الفوائد , ومن طريقه في تاريخ دمشق 8/ 129 / ق) : أنا إسحاق بن إبراهيم نا .... أحمد بن أبى الحواري : ثنا علي بن أبى الحر قال : جاء أبو ريحانة – فساقه .

(1/ عبد الله 2/ الحلية 3/ الصواف [ ] لى) .

وليلة أخرى :

أن أبا ريحانة رضي الله عنه (كان مرابطاً بالساحل وأنه / 2) استأذن (صاحب مَسْلحته / 1) (أمير مرابطته / 2) (من الساحل إلى أهله / 1) : (ائذن لي أن آتي أهلي / 2) .

(فأذن له ، فقال له الوالي : كم تريد أن أؤجّلك ؟ / 1) (قال / 1) : (أجّلني / 2) ليلةً .

(ففعل / 2) .

(فأقبل أبو ريحانة , وكان منزله في بيت المقدس / 1) (فقدم بيت المقدس عشاءً / 2) فـ (بدأ بالمسجد قبل أن يأتي / 1) (ولم يأت / 2) أهله , فافتتح (بـ / 1) سورة (فقرأها / 1) ثم (سورة / 2) أخرى (فلم يزل على ذلك / 1) حتى أدركه الصبح وهو في المسجد (لم يَرُمْهُ [لم يتركه] ولم يأت أهله / 1) !

فلما (أن / 2) أصبح (دعا بدابته , فركبها / 1) (توجه / 2) (راجعاً / 2) إلى (مَسْلحته / 1) (مُرابَطه من الساحل / 2) .

فقيل (له / 2) : يا أبا ريحانة , (إنما استأذنت لتأتي أهلك / 1) (فـ / 1) لو (مضيتَ حتى / 1) أتيتَ أهلك / 2 (فسلمتَ عليهم , وألممتَ بهم / 2) (ثم تنصرفُ إلى صاحبك ؟ / 1) .
(فـ / 2) قال : إنما أجّلني أميري ليلةً , وقد (مضت / 1) [و] (مضى أجله / 2)
(لا / 1) (ولستُ بالذي / 2) أكذبُ (ولا أُخْلِفُ / 1) (ولا أتخلفُ عن مُرابَطي / 2) (وانصرف / 1) (فتوجه / 2) (إلى مَسْلحته , ولم يأتِ أهله / 1) (ولم يَرَهُمْ حتى رجع , وكان مسكنه بيت المقدس / 2) .

رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (في أخباره / 877 ومن طريقة في تاريخ دمشق 8/ 130 / ق في ترجمته).
ح ورواه سعيد بن منصور في الجهاد من سننه – باب ما جاء فى طاعة الإمام (2489) نا إسماعيل بن عياش .
كلاهما (عبد الله قال : أخبرني ح وإسماعيل : عن) عن أبي بكر بن أبي مريم (الغساني / 1) عن ضمرة (يعني / 1) بن حبيب (عن مولى لأبي ريحانة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم / 2) .
ولعبد الله وابن أبى عاصم كتاب مفرد فى الجهاد .
1/ لعبد الله 2/ لسعيد [ ] لي .
وصحَّف صاحبه حاشية الزهد (ألمت) إلى (ألمحت) وفسرها !

1- ويشبه ذلك الانشغال بالصلاة عمن حوله :

قال ابن أبي الدنيا في كتاب الورع – باب أخبار الورعين (153) :
قرأت في كتاب أبي جعفر الأدمي (محمد بن يزيد) بخطه قال : قال سلامة :

كنتُ باليمن في بعض مخاليفها , فإذا رجلٌ معه ابنٌ له شابٌ :

فقال : إن هذا أبي , وهو مِن خير الآباء , وقد يصنع شيئاً أخاف عليه منه !

قلت : أيُّ شيء يصنع ؟

قال : لي بقرٌ تأتيني مساءً , فأحلبها , ثم آتي أبي وهو في الصلاة , فأحب أن يكون عيالى يشربون فضلَه , ولا أزال قائماً عليه والإناء في يدى وهو مقبلٌ على صلاته , فعسى ألا ينفتل ويقبل عليَّ حتى يطلع الفجر !

قلت للشيخ : ما تقول ؟

قال : صدق – وأثنى على ابنه

وقال لي : أخبرك بعذرى : إذا دخلتُ فى الصلاة , فاستفتحتُ القرآن ذهب بي مذاهبَ وشغلني حتى ما أذكره (يعني ولده) حتى أصبح .

قال سلامة : فذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق [كان وزيراً لهارون , ثم تاب وتعبد / ثقات ابن حبان 8/ 345] .
فقال : هذان يُدْفَعُ بهما [البلاء] عن أهل اليمن .
قال : وذكرتُ أمرَهما لسفيان بن عيينة ,
فقال : هذان يُدْفَعُ بهما عن أهل الدنيا .
فهذا يصنعه كل ليلة .
اما ما قصَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان قبلنا :
خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ ، فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، .
فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ .

قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا،
وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيِّ .
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ .
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،
فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ .
قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ – الحديث رواه البخاري ومسلم
وعكس ذلك :
ما رواه سعيد بن منصور (2492) عن أبى
عامر الأشعرى قال :
خرجت في سرية معنا سعد بن أبي وقاص ,
فنزلنا منزلاً :
فقال فتى منا : إنى أريد التعلُّفَ (طلب العلف
لدابتي) .
فقال له أبو عامر : لا تفعل حتى تستأمر صاحبنا
– يعني أبا موسى الأشعري وهم رفقة . فاستأذنه
فقال له أبو موسى : لعلك تريد أهلك ؟ !
قال : لا
فانطلق الفتى , فأتى أهله , فأقام عندهم أربع

ليال , ثم قدم
فسأله أبو موسى : وقال : أتيتَ إهلك ؟ ......
قال : ما فعلتُ !
قال أبو موسى : لَتُخْبِرَنّي ! .....
قال : ما فعلتُ
قال : لَتَصْدُقَنّي !...............
قال : قد فعلتُ !
فقال له أبو موسى : فإنك سرتَ في النار , ووقعتَ فى أهلك في النار , وأقبلتَ فى النار , فاستأنفِ العملَ .
وإسناده حسن .
ويماثله على فرقٍ بين الجهاد وما دونه من يتهرب من عمله : فيذهب إلى منزله , فيأتي أهله أو يأكل ويشرب ويلهو ويشتري ويبيع ويعمل في دكان أو على سيارة !
ولا ينبغي للمرأة أن تعينه :
روى سعيد (2785) أن نساءً من المسلمين شَهِدْنَ اليرموك مع أبي عُبيدةَ – رضي الله عنه , فكن يرتجزن :

إنكم إن تقبلوا نعانق .... ونفرش النمارق !
وإلا تقبلوا نفارق ... فراقَ غير وامق !
وهذا رَجَزُ جماعةٍ لا يتبين منه صوتُ إحداهن ,
وهو في عملهن على بُعْدٍ من الرجال .
وإسناد هذا ضعيفٌ لا يقومُ .
والمشهور بهذا قول امرأة من العرب في يوم ذي قار تحضُّ قومها على قتال الأعاجم، ثم أخذته نساء المشركين في أُحُدٍ .
لكن يقال : إن خَشِيَ الفتنة على نفسه وليس به صبرٌ يستأذن ليذهب إلى أهله
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ
فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فأَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ .
وإلا فالتصبر والتعفف بابٌ واسع .
وأوسع منه باب التعفف وغض البصر وصرف الفكر .

الباب الثاني
ليالى الذكر

ليست هي ليالي الصوفية في الرقص والبدع !
فهي ذكر ، ولكن للشيطان !
إنما نريد ليالى ذكر الله كما وصف شرع الله .
قال بعض السلف (ابن أبي شيبة 586/13 والحلية 241/2) :
والله ما أدرى بأيِّ يوميَّ أنا أشدُّ فرحاً :
يومٌ أباكر فيه إلى ذكر الله .
أو يومٌ خرجتُ فيه لبعض حاجتي ، فعَرَضَ لي ذكر الله .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ ، فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ،
أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ بصري وشفاء صَدْرِي ، وَجِلاَءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي
إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ
وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِه فَرَحًا
قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ ؟
قَالَ : أَجَلْ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ.
وقيل :
من قرأ سورة يس إذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسي
ومن قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح .
وقد خرَّجتُ هذا والذي قبله في كتاب الأذكار .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(قل هو الله أحد ثلث القرآن)
(من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات
بنى الله له بيتاً فى الجنة) .
فأيُّ فرح لمن كان له بيتٌ ؟!
وأين ؟ إنَّه في الجنة .

فرح مع رجاء
كما هو اعتقاد أهل السنة في كل وعدٍ .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ سورة السجدة والمُلْك .
وكان بعض السلف يستحب الصلاة بهما ركعتين بعد صلاة العشاء .
وذُكِرَت المغفرة لمن قرأ سورة الدخان في ليلة .
وقيل باستحباب قراءة سورتي الجمعة والمنافقين ليلة الجمعة في صلاة العشاء (شرح البخاري لابن رجب 7/ 31 و 48) .
وروي في ليلها سورة الدخان (المجمع 2/ 168) .
وهي ليلة طيبة ليوم طيب .
وذُكِرَ الأجر العظيم فيمن قرأ في ليلةٍ فاتحة سورة البقرة (خمس آيات) وآية الكرسي (وآية بعدها) وخاتمة البقرة (ثلاث آيات) وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد (الدارمي والموضح 2/ 236) .
وقال عبد الرحمن بن الأسود التابعى الفقيه العابد – رحمه الله تعالى :

من قرأ سورة البقرة في ليلةٍ
تُوِّجَ بها تاجاً في الجنة .
(في زهد أحمد ص 361 , والدارمي 2/ 308 – 309 وابن أبي الدنيا في التهجد 154 بسند صحيح ح ورواه البيهقي في العب 5 ح 2167 من وجه آخر واه مرفوعاً عنه صلى الله عليه وسلم وانظر لأبي عبيد وابن أبي شيبة 10/ 486 وابن الضريس 185 وفضائل القرآن لسعيد بن منصور 49 والدر 1/ 53) .
وقيل : بَرِئَ من النفاق وكُتب من القانتين – لمن قرأها وسورة آل عمران .
فأيُّ فرحة أعظم من ذلك ؟
وأيُّ فرحة حينما يقرأ سورة البقرة ويوقن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة يَفِرُّ منه الشيطان .
نعم
على شرط الوعد عند أهل السنة وهو الرجاء
على شرط أهل السنة في القول والعمل
على انتفاء الموانع
فإن الصور في البيت والمعازف والتلف المسمى عندهم بالتلفاز يجعل الشيطان مستوطنًا للبيت .

الباب الثالث

ليالي الجهاد فى سبيل الله عز وجل
في سبيل الله عز وجل
لا لرياء ولا لعصبية ولا ابتغاء المال
مِن رجلٍ
لم يشركْ بالله تعالى
ولا ابتدع في دين الله تعالى .
وإلا فلا يغررك
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج :
(سـ) يَخْرُجُ فِيكُمْ (فِي هَذِهِ الأُمَّةِ ـ وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا) (فِي آخِرِ الزَّمَانِ) قَوْمٌ (حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ) (يَخْرُجُونَ عِنْدَ اخْتِلاَفٍ مِنَ النَّاسِ) (تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلاَهُمْ بِالْحَقِّ) (يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ)

تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ

صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ (يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ لَيِّنًا رَطْبًا) لاَ يُجَاوِزُ (إِيمَانُهُمْ) حَنَاجِرَهُمْ
يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ
(يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)
(فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
(لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ)
(هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ)
فلم يقبل الله من مبتدعٍ شيئاً (صرفاً ولا عدلا)
وقال أبو قِلابة – رحمه الله تعالى :
(كل أهل الأهواء خوارج) .
فلئن فاتك الجهاد الحق فلا تفتك النية الصادقة .
ولئن فاتك جهاد السنان فلا يفتك جهاد اللسان .
قال أبو عبيد القاسم بن سلام – رحمه الله تعالى :
(نشر السنة جهادٌ أشدُّ من الضرب بالسيف) .

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه :
(ما كان في الأرض ليلةٌ

أُبَشَّرُ فيها بغلامٍ
أو يُهْدَى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ
أحبّ إليَّ مِن ليلة
شديدة الجليد في سَرِيَّة من المهاجرين أُصَبِّحُ بهم العدو
فعليكم بالجهاد) .
وقال أنس بن النضر رضي الله عنه :
(واهاً لريح الجنة , إني لأجد ريحها)
يعني وهو يجاهد .
ذُكِرَ عن عبد الله بن عُمر – رضي الله عنهما -
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ألا أنبئكم بليلةٍ هي أفضلُ من ليلة القدر
[أجراً] :
حارسٌ حرس في سبيل الله – عز وجل – في
أرضِ خوفٍ لعله ألا يؤوب إلى أهله) .
وذُكِرَ عن عثمان رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

(حرس ليلة في سبيل الله – عز وجل

أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها ويُصام نهارها) .
(الأول رواه ابن أبي شيبة 5/ 296 ومسدد من طريقه الحاكم 2/ 80 والخطيب في المؤتنف 50/ 1/ ق والبيهقي 9/ 149 وهو عند الديلمى (7873 فى 4/ 249 – 250 / ل زهر) عن أنس وأبى أمامة – رضي الله عنهما وعلل الدارقطنى 4/ 63 – 64 / ق) .
والثانى رواه ابن أبي شيبة 5/ 327 – 328 والبيهقي 9/ 39 وفي الشعب 8/ 3938 ح ورواه أحمد (1/ 61 , 64 – 65) وابن ماجه 2761 والطبراني 1 ح 145 والحاكم 2/ 81 والبيهقي في الشعب 8 ح 3929 والمزي 33/ 421 – 422 وغيرهم وانظر المغني (8/ 354) والجهاد لابن أبي عاصم 150 و 151 , والترغيب 1869) .
وقَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِه، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ- رواه مسلم .
وانظر تفسير قول الله تعالى في خواتيم سورة آل عمران : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران/200] .
قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «
لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ

إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا

إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ
فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ – رواه مسلم .
وذُكِرَ عن سفيان الثوري وغير واحد من السلف
الصالح – رحمهم الله تعالى :
(الكسب من حلال والسعي على العيال
جهاد الأبطال) .
قالوا : لو كان هذا في سبيل الله !
فقال صلى الله عليه وسلم : (إن كان خرج على
نفسه يُعِفَّها أو على صبية فهو فى سبيل الله)
هذا
إن كان يعمل عملاً حلالاً لا يتكسب من حرام
ولا يشغله عما هو واجب عليه من عبادة
وينفقه في حلال .
وإلا فهو وبالٌ عليه .
وذُكر عن إبراهيم بن أدهم – رحمه الله تعالى –
فى نحو ذلك:
أجيدوا العمل , ولكم بكل ليلةٍ ليلةُ القدرالحلية **278/7**

ليلة الجمعة

كم لها من فضائل حتى صنَّف القاضي أبو يعلي جزءً في فضل ليلة الجمعة .
إنك مُقْدِمٌ على أفضل يوم من أيام الأسبوع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ .
وفيه ساعة إجابة .
وهو يومُ عبادةٍ مِن أوله
في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أفضل الصلوات صلاة فجر الجمعة في جماعة .
من أتى صلاة الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة (يعني كأنما ذبح لله تعالى جملاً) , ففي الثانية بقرة , وفي الثالثة كبشاً , وفي الرابعة دجاجة , وفي الخامسة بيضة .
فمنهم من كان يصلي الفجر ويغدو إلى صلاة الجمعة .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَن غَسَّل واغتسل وبكَّر وابتكر ومشى

ولم يركب ودنا واستمع
كان له بكل خطوةٍ أجرُ سنة) .
قيل : (غسَّل واغتسل) أي جامع امرأته فاغتسل مِن ذلك ليمضى إلى الجمعة عفيفاً , وجعلها تغتسل .
فإن كان مِن أهل العبادة فليلته كذلك
وقال الشافعي – رحمه الله :
(بلغنا أن الدعاء يُستجاب ليلة الجمعة)
واستحبه
وإلا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لا تَخُصُّوا ليلةَ الجمعة بقيام من بين الليالى) .
فمِنْ هاهنا تعلم أن السهرَ للعبادة ليلة الجمعة في المساجد أو المساكن وما يسمى بصلاة ليلة الجمعة وصلاة الحفظ وصلاة الرغائب أول ليلة جمعة من شهر رجب باطل
فكيف بالسهر المفرط ليلة الجمعة في الملاهي المحرمة والمزاح لأنه سينام مِلْء عينه

لأن يوم الجمعة يوم بطالة وعطالة حتى ما

يكاد يستيقظ فيه إلا قربَ صلاة الجمعة وربما بعدَها !
فشَتَّان :
هذا فرحَ بليلة الجمعة فى دينه ودنياه
وذلك خسرها وكُتبتْ عليه في معاصيه , وفلاحه الأكبر أن لا يُكتبَ عليه فيها حسنة ولا سيئة !
وكيف ذلك ؟
ذكر عنه صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة :
(ليلةٌ غَرَّاء)
(ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر)
فهي للحيّ أجود وأجود .
وروي قراءة سورة الدخان ليلة الجمعة
(الترمذي 2889 وابن الضريس 221-222)
وسورة البقرة وآل عمران (التهجد لابن أبي الدنيا / 153)
وسورة (يس) .
وكذلك سورة الكهف .
والإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أكْثِروا الصلاة على الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشراً) .
وفي رواية : (كنتُ له شهيداً أو شفيعاً) .
ورُوى فى تفسير قول يعقوب : (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) [يوسف/98] أنه أخَّرهم حتى تأتي ليلة الجمعة .
رواه الترمذى وابن جرير والحاكم وخرجته فى (الحفظ) .
فهى ليلة رحمة , ومغفرة
(تاريخ الخطيب [9/ 383 – 384] ومجالس ابن الجراح [9/ ق])
وإجابة دعاء
ورُوي أن كل ساعة منها فيها عتق من النار
(علل الدارقطنى 4/ 43 / ق) .
وذُكِر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ فَمَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ دَخَلَ الْجَنَّةَ
وَمَنْ قَالَهَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ
مَنْ قَالَ:
اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ
وَ (أنا) فِي قَبْضَتِكَ، وَناصِيَتِي بِيَدِكَ
أَمْسَيْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ (عليَّ)،
وَأَبُوءُ (لك) بِذَنْبِي
فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبُ إِلَّا أَنْتَ .

رواه في شعب الإيمان (2781) , وحديث (سيد الاستغفار) في صحيح البخاري كل يوم وليلة , فهذا فيه زيادة السبع وفضل ليلة ويوم الجمعة ، وقد خرجته في كتاب الأذكار.

والله تعالى ينزل في الثلث الأخير من كل ليلة
وروي أنه – جلَّ وعلا – ينزل في كل ليلة جمعة من أولها الدارقطني في النزول3
وروي صلاة بقراءة وصفة مخصوصة وعدد معين للحفظ أو كفارة عن ترك الصلاة أو لرؤية النبي – صلى الله عليه وسلم
وروي قراءة سورتي الجمعة والمنافقون في العشاء الآخرة ليلة الجمعة
ولا يصحّ ذلك كله .

الباب الخامس
ليالي طاعة الرحمن بترك البدع

فأيُّ فرح ببدعة
يجعلك من أهلها
وينتزع من قلبك حب السنة وأهلها
فإن (المرء مع من أحب)
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
تقول : أُحِبُّ السنة والبدعة , وأحب أعياد المسلمين وأعياد البدع والكفار !
هذا مبتدع على غاية في الإرجاء
وقد ينسلخ من الإسلام
قال الأوزاعي – إمام أهل الشام في عصر أتباع التابعين رحمهم الله تعالى – لرجل يجالس السني والمبتدع :
هذا رجلٌ يريد أن يسوِّي بين الحق والباطل !
والجمعة عيد المسلمين
كما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء منهم من يحتفل بها بالمعصية ! :

فيسهر ليلتها في المعصية
وينام عن الفجر
بل ربما عن صلاة الجمعة نفسها !
وإن ذهب إلى الجمعة ففي ثياب النوم وحال الهم !
ومنهم من يحتفل بها بالبدعة ! :
فيسهر ليلتها في أذكار الرقص , أو أفلام الجهاد المزعوم وفقه الواقع المخذول .
ويتجمع يومها في تجمعات من نوع المظاهرات التي ما عرفها المسلمون إلا من الخوارج زمن عثمان – رضي الله عنه .
وبعضهم يحتفل بعيد الجمعة
بالتعطل والتبطل عن عمل الدنيا والآخرة !
وفي بعض بلاد المسلمين يجعلون عيد الأحد , فيسهرون ليلة الأحد فرحاً بيوم الأحد ويتعطلون يوم الأحد حتى لا يرى في الشوارع تجارة ولا أحد !
وسايرهم أدعياء السنة

فجعلوا نوعاً من الاحتفال بدرس الأحد !

وليالي عيد الربيع (شم النسيم) وعيد .....
وموالد المقبورين وليالي الأصحاب و ....
كثرت أعيادهم , واصطنعوا الأفراح ليُخفوا تحتها دينهم , وليتخفوا تحتها من أنفسهم !
تري هؤلاء الشباب الذي يجوب الشوارع كالكلاب الضالة في شاحنات الصيد وقد ارتفع صوت المعازف والغناء جداً بلغة لا يفهمونها ! .
تدري لماذا يحبون هذا الصوت المرتفع ؟!
إنهم يهربون من أنفسهم الممزقة , فإنهم لا يطيقون مجالسة نفوسهم ولا الخلوة بها
فأضلُّ الخلق إبليس إن رجع إلى نفسه بكى !
نعم إبليس يبكي حينما يرى عبد الله ساجداً لله
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي
أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ
وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ .

وهؤلاء أصحاب الأصنام لما وعظهم

الخليل – على نبينا وعليه الصلاة والسلام :
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ .
ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
يَنْطِقُونَ [الأنبياء/64 و65]
ولكن كم تكون هذه الرجعة ؟!
إنها لحظات ، وتغلب شقوتهم عليهم .
ولذلك قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه
وسلم :
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا [النساء/63]
إياك وكل عيد بدعة
فقد لعن الله في الخمر عشرة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكل من شارك في معصية أو طاعة
فهو صاحب نصيب فيها !
دينك علي فرحك

ففرحك بالبدعة والمعصية
يدل على حالك من دينك .

وقال عمر – رضي الله عنه :
(اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي عِيدِهِمْ) تاريخ البخاري14/4
صم هذا اليوم
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم السبت والأحد
هما يوما عيد لليهود والنصارى
عيد وأكل
فالمخالفة بالصوم ، وإفطار معتاد لا يبالغ فيه !
ولا تخرجْ يومَها (الحلية 5/ 20)
ولا تغير شيئاً من حالك إلا مخالفتهم
لكن بعض الناس يأتي يوم شم الفسيخ مثلاً
فيصوم – ولا بأس به مخالفة على اختلاف !
لكن يجتمع هؤلاء في المساجد
على يوم إسلامي ! وإفطار جماعي !
وما هو العيد ؟!
فهذا عيد جديد صنعوه مِن حيث لا يدرون !
والله المستعان .

الباب السادس
أول ليلة

أول ليلة للمولود على الدنيا :
كانت أم المؤمنين عائشة بنت الصدِّيق – رضي الله عنهما – إذا وُلد المولود فى أهلها
لم تسأل : ذكراً أو أنثى
وإنما تقول : هل خُلِقَ تاماً ؟
فإذا قيل : نعم , قالت : الحمد لله رب العالمين .
الحمد لله
سبحانه خلق بشراً تاماً
ولم يجعلك عقيماً أنت ولا امرأتك
قد كنت أنت هكذا بين يدى أمك وأبيك ففرحوا فاذكرهما
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء/24]
فإياك إياك وخصلة الجاهلية في تسخط البنات , أو الذرية عامة خوف الفقر
فإن رزقك يأتيك مِن قبلُ , ممن بيده خزائن السموات والأرض

وهذا الوليد أتاك برزقه لن يأكل من رزقك ولا رزق إخوانه شيئاً

بل ربما بارك الله تعالى لكم فى رزقكم به .
ثم أنت الآن بعد هذا العمر الذي قطعتَ أو قطع منك :
ألست تتمنى أن تعود صغيراً بعقل كبير , وتصلح ما كنت قد أفسدتَه ؟!
فهذا وليدك هو أنت
فنشِّئْه على الصلاح من أول ساعة له في الدنيا :
فلا يصافح سمعه ولا بصره شيءٌ يُغضب الله تعالى ويجلب الشياطين ويطرد الملائكة
لعله يكون
ممن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ... شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ) .
لعله يكون مباركاً عليك في الدنيا والآخرة ,
فيكون لك بعد موتك عمراً ثانياً
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:

إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ .
فإن كل خطوة له في الدنيا من الخير في ميزانك
ألست أنت
الذي ولدته , وغذوته , ونشّأته على الخير ؟
إنها ليلة فرحة
فهو عمر لك مع عمرك
وعمر لك بعد عمرك
وما عجزت فيه بنفسك تأمل أن يقوم فيه بنفسه .
قال خالد بن الوليد رضي الله عنه :
(ما من ليلةٍ أُبَشَّرُ فيها بغلامٍ
أحبّ إليَّ من ليلة في الجهاد) .
وقال سَمُرَةَ بن فاتك – رضي الله عنه – نحوه .
فهما لم يجدا من فرحة الدنيا مثل تلك الليلة .
فاجعل فرحتك فرحة دائمة
بأن تجعله عبداً لله تعالى
فتسميه بأسماء الصالحين لا الفتانين !

واجعل فرحتك يوم سابعه 75

فرحة على ما يَرضى الله تعالى
لا بالبدع والشرك مما يصنعه الجهلاء !
أما المولود ، فيا لها من ليلة !
وهي سعيدة إن كان ممن يريد الله به الخير ,
فصافح سمعه وبصره أول نزوله الخير :
قال سفيان بن عيينة – رحمه الله تعالى :
أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن :
يوم يولد فيخرج إلى دارهم
وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانًا لم ير مثلهم
ويوم يُبعث ليشهد مشهدًا لم ير مثله .
فعافى الله تعالى يحيى بن زكريا عليهما السلام
في هذه الثلاث المواطن فقال :
(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا) [مريم/15] [منتقى مرو 1/77/ ق] .
وقول ذاك الشاعر (الخطيب 4/ 241) :
إن حزنًا فى ساعة الموت أضعا
فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ

أول ليلة من كل عام أو شهر

إنها بدعة قديمة
في الاحتفال برأس السنة
الفارسية يسمونه النيروز أي اليوم الجديد
الشمسية يسميه النصارى الكريسماس !
القمرية في الجاهلية كان العرب في الجاهلية
يهنئون ملوكهم في اليوم الأول من محرم
(عجائب المخلوقات للقزويني)
ولا أصل لذلك في الإسلام
ولكن بقايا المسلمين الآن
يحتفون ويحتفلون به حتى صار عيدًا وإجازة من الأعمال !
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من تشبه بقومٍ فهو منهم) .
ولا يلزم أن يتشبه بهم في كل شيء !
بل لو تشبه بهم في شيء من خصائصهم !
وقد قال الله تعالى : إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ [النساء/140]

وقبل مئات السنين قال 77بعض من ألَّف في

البدع : (ومن البدع اجتماعهم على إقامة يناير بابتياع الفواكه والأطعمة المعينة , وخروج الرجال والنساء جميعاً أو أشتاتاً مختلطين للتفرج) !
فبئست الأفراح :
فرحٌ على شيءٍ لا يُفرحُ به .
فرحٌ كله حُرُماتٌ = الحزن الأكبر والفزع الأكبر !
إنا لنفرحُ بالأيام نقطعُها
وكلُّ يوم مضى يُدني من الأجلِ !
فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً
فإنما الربح والخسران في العمل
قلت :
ومرُّ الليالي جنازاتُ عُمْرٍ
فماذا صنيعُك فيما يليها ؟!
أرأيتَ من يقتطع كلَّ يوم من جسمه قطعة ثم يكفنها ؟!
فهذا صنيع كل ليلة فيك !
تقول : بلغتُ عشرين سنة
أقول :

بل نقص من عمرك عشرون سنة !
بل دنوت من الموت بقدر ما قطعت !
بل قد قُطعت لا قَطعت !
إنـها آجال
فلعل من يُصبح لا يُمسي
ومن يُمسي لا يُصبح ! :
وما أدري وإن أمَّلْتُ عُمْراً
لعلي حين أصبح لستُ أمسي
ألم تر أن كلَّ صباحِ يومٍ
وعُمْرُك فيه أقصرُ منك أمسِ !
فأَحْسِنْ فيما بقي لعله يغفر لك ما مضى .
وإن أسأتَ فيما بقى أُخِذْتَ بما بقي وما مضى !
لذلك قيل :
ابنَ آدم , إنما أنت أيامٌ
فكلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك
وإنك لم تزل في هدم عمرك منذ ولدتك أمك :
يدفعك الليلُ إلى النهار , والنهارُ إلى الليل
حتى يأتيك الموت , وأنت في غفلة

فلا تفيقُ إلا وقد بلغتَ من العمر ما بلغتَ
ولعلك لا تفيقُ إلا على سرير الموت !
أتدري كلام الليالي والأيام ؟!
لقد صنّف ابن أبي الدنيا كتابًا بهذا الاسم
ومن كلامها :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، فَإِنِّي لَوْ قَدْ آبَتْ شَمْسِي لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
اعْمَلُوا فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أخْرَجني مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، فلا أعودُ إليها أبدًا .
ابْنَ آدَمَ ، قَدْ دَخَلْتُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَنْ أَرْجِعْ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَانْظُرْ مَا تَعْمَلُ فِيَّ .
يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ ، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ فِيَّ عَلَيْكَ غَدًا شَهِيدٌ ، فَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرًا أَشْهَدْ لَكَ بِهِ غَدًا فَإِنِّي لَوْ قَدْ مَضَيْتُ لَمْ تَرَنِي أَبَدًا .
ابْنَ آدَمَ ، أَحْدِثْ فِيَّ خَيْرًا فَإِنِّي لَنْ أَعُودَ عَلَيْك أَبَدًا.

ثُمَّ يُطْوَى عَلَيْهِ ، فَيُخْتَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَفُضُّ خَاتَمَهُ .

يوم
وأسبوع
وشهر
وسنة
وعمرٌ يمرٌّ
وتذكار ما يَمُرُّ يُمِرُّ
والله المستعان .

قال عبد الله بن هشام رضي الله عنه :
(كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعلمون هذا الدعاء
كما يتعلمون السورة من القرآن
إذا دخل الشهر أو السنة :
(اللهم أدخله علينا بالأمن والإيمان , والسلامة والإسلام , وجوار من الشيطان , ورضوان من الرحمن .

رواه البغوي الكبير في المعجم والطبراني في الأوسط والتيمي بسند صحيح موقوف .

وفي الباب حديث عبد الله ذكره في الجامع البهي من دعوات النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ :
(كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون هذا الدعاء :
(اللهم إنك أنت الحي الكريم الحنان المنان وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان الرجيم وأوليائه .
والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء والاشتغال بما يقرِّبني إليك يا ذا الجلال والإكرام .
وذكر صاحب الجامع البهى كذلك من المراسيل عن كعب الأحبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة خاصة , ولا يصح .
وكان أبو عُمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى – رحمه الله – (528- 607)
وهو عابد عالم ، وهو أخو صاحب كتاب المغني يقول :
(ما زال مشايخنا يواظبون على هذا الدعاء في أول ليلة من السنة , وما فاتني طول عمري) .

وَكَانَ لَا يسمع دُعَاء إِلَّا حفظه ودعا بِهِ وَلَا يسمع ذكر صَلَاة إِلَّا صلاهَا وَلَا يسمع حَدِيثا إِلَّا عمل بِهِ وَكَانَ لَا يتْرك قيام اللَّيْل ويسرد الصَّوْم فِي آخر عمره وَكَانَ لَا يكَاد يسمع بِجنَازَة إِلَّا حضرها وَلَا مَرِيض إِلَّا عَاده وَلَا جِهَاد إِلَّا خرج فِيهِ .
وهو شيخ الضياء والمنذري .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل شهر رجب قال :
(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) .
وقد قال الله تعالى : (والفجر) .
فذُكِرَ عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:
هو فجر أول يوم من شهر المحرم تنفجر منه السنة .
وذُكِر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا استفتح العبد يومه بخير وختمه
قال الله عز وجل – لملائكته :
قد غفرتُ له ما بينهما .

وهذا معنى صحيح متواتر في أذكار الصباح والمساء , وفي ابتداء الأعمال كما ذُكِرَ عنه صلى الله عليه وسلم :
كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه باسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة .
وهذا أيضاً معنى صحيح متواتر فى التسمية وأن الله تعالى يبارك فيما سُمِّي فى أوله .
فكذلك هو فيمن يستفتح كل أمره بخير وينوى فيما سَمَّى فى أوله .
فكذلك هو فيمن يستفتح أمره لخير وينوى ختام ذلك بخير , فهو في معونة الله تعالى وذمته كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن صلى صلاة الفجر .
وكذلك هو في الشاب ينشأ في طاعة الله تعالى .
وانظر مبتدأ النهار صلاة الفجر ركعتان , ومبتدأ الليل صلاة المغرب ثلاث ركعات , وبقية الصلوات أربع .

وصلاة الأوابين في أوائل النهار
وصلاة الأوابين في الليل في أوله بين صلاتى المغرب والعشاء .
وفضل الذكر بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس
وفضل الذكر في ختام النهار قبل غروب الشمس .
وكذلك أول ليلة من كل شهر عربى
سبق قريباً حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه ، وكذلك ما قيل فى افتتاح كل أمر بخير .
ثالث ليلة من كل شهر عربى
لا أعلم في توقيتها بالثالثة أصلاً
لكني يغلب علي رؤية هلال الشهر في تلك الليلة ويخفى عليَّ في الليلتين قبلها , فإنه يخفى في آخر ليلة من الشهر ليلة واحدة إذا كان الشهر ناقصاً , وليلتين إذا تمَّ الشهر يستسرُّ الهلال بنور الشمس , وكذلك المحاق في آخره , وفي تفسير سرار الشهر طول ذكر في كتب غريب الحديث وصوم شعبان .

المراد أن هذا يتعلق برؤية هلال الشهر فمن رآه أول ليلة أو في الليلة التى تليها أول مرة يراه فيها :
فقد كان السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – إذا رأى أحدهم هلال الشهر صرف وجهه عنه , ولا يرفع إليه رأسه , ولا ينصب له , ولا يقوم في وجه الهلال , بل يعرض عنه , ولا ينظر إليه , بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنهما :
(استعيذي بالله من شر هذا
فإنه الغاسق إذا وقب) .
فالتغزل فى القمر , واتخاذه شعاراً للإسلام في الرايات وعلى مساجد ومآذن ومجلات ومواقع من يدَّعي السنة فهذه بدعة مركبة , وقد كان قوم يعبدون القمر , فاحذر من البدع , ولا يشير إليه , وهاك مما ذُكر عن السلف الصالح – رحمهم الله تعالى , وبعضه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هلال خير ورشد , هلال خير ورشد , هلال خير ورشد
آمنتُ بالذي خلقك فسوَّاك فعدلك (يقولها ثلاث مرات) .
الله أكبر , الله أكبر , الحمد لله
ولا حول ولا قوة إلا بالله .
اللهم إني أسألك خير هذا الشهر ونصره وبركته ونوره وأجره ومعافاته , وخير القدر .
اللهم إنك قاسمٌ بين عباد من عبادك فيه خيراً فاقسم لنا فيه من خير ما تقسم لعبادك الصالحين .
وأعوذ بك من شر هذا الشهر وشر ما بعده وشر يوم الحشر وشر القدر (يقولها ثلاثاً) .
اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان , والسلامة والإسلام , والهدى والمغفرة , والتوفيق لما تحب ربنا وترضى , والحفظ مما تسخط ربنا وربك الله .
الحمد لله الذي أذهب هلال شهر كذا (ويسميه) وجاء بهلال شهر كذا (ويسمي الشهر) .

الباب الثامن

شهر الله : المحرم

قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة في (جوف) الليل (الأوسط)
وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم) .
فكيف إذا اجتمع لك الفضلان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصوم :
(للصائم فرحتان : فرحة عند فطره , وفرحة عند لقاء ربه) .
ومن ذاق حلاوة ليالي الطاعة بالقيام والسحور عرف ذلك .
فهذا في هذا الشهر كله , وهو شهر حرام يستجاب فيه الدعاء
(البر لابن الجوزي 261 والشعب للبيهقى 7 ح 3259 وفضائل الأوقات له / 13) .
وأفضله العشر الأُوَل منه :

قال أبو عثمان النهدي التابعي الكبير– رحمه الله تعالى : (كانوا يفضلون ثلاث عشرات :
العشر الأول من ذي الحجة ومن المحرم ,
والأواخر من رمضان) .
ثم أفضله عاشره : يوم عاشوراء :
ذاك يوم نجَّى الله فيه نبيه موسى – صلى الله على نبينا وعليه وسلم , وأغرق فرعون .
فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم شكراً لله وقال : (نحن أحق بموسى منكم) أيها اليهود (ونحن أحق بالشكر) منهم و (أحتسب على الله تعالى) لمن صامه (كفارة سنة) و (خالفوا اليهود : صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده)
فأي فرحة بهذا اليوم وفضله ؟!
بلى وذكر فيه التوسعة على العيال ليفرحهم فيوسع الله تعالى عليه سائر سنته .
وهو يوم تاب الله تعالى فيه على قوم (آدم وقوم يونس وآخرين) ويتوب على آخرين .
فاستعد له من ليلته , وما ذلك ببعيد .

لكن من الفرح الباطل به :
1- صلاة أربع ركعات ليلته بهيئة خاصة واعتقاد خاص فذلك ما لا أصل له .
2- الاغتسال والاكتحال والحناء والبخور ولبس الحلي والزينة كذلك .
3- الإسراف فى الأطعمة حتى تكون من حرام أو تثقل عن عبادة أو يؤذي جاره الفقير ولا يعطيه .
4- تأخير الزكاة التي وجبت عليه قبل عاشوراء حتى يؤديها في عاشوراء !
5- خروج النساء للمقابر .
فهذه بدع مركبة .
فليسوا سواء :
من يحتفي في أيام الخير بالخير
من يحتفي في أيام الخير بالشر .
فمتى ينتبه الغافل عن مواسم الخير ؟!
إن كل أيامك خير لو عملتَ فيها بخيرٍ
فكيف لو كانت أيامًا فضلها الله تعالى على غيرها فالخير والشر كلٌّ فيها مضاعَف .

الباب التاسع
ليلة في صفر

في بعض البلاد يجتمع كثير من العامة في آخر أربعاء من شهر صفر بين المغرب والعشاء , ويكتبون آيات السلام السبعة , ثم يضعونها في الأواني , ويشربون من مائها
وهذه بدعة مركبة من التشاؤم :
1- بشهر صفر , وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا صفر) .
2- وبآخر أربعاء من الشهر أو بكل يوم أربعاء لما سرى بينهم من حديث لا يصح : (آخر يوم أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر) .
وقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر
فما نزل بي أمر فدعوت به فيه إلا استُجيب لي.
هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطيرة شرك) والطيرة هى الشؤم .

الباب العاشر
ليالي الموالد

من البدع المركبة ما يصنعه الناس من الاجتماع في المساجد وغيرها ليلة الثاني عشر من ربيع الأول , فيجتمعوا على قصائد المدح وغيرها زعماً منهم أن هذا احتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم , فإذا خرجوا إلى بيوتهم فهناك الحلويات المخصوصة باسم (حلويات المولد)
ومنها أصنام على شكل عروس أو فارس !
فيكسر بعضهم رأس الصنم ليلتها !
والصور هذه محرمة
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين , وقال :
(لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) .
كذلك موالد المقبورين , وأعياد الميلاد .
فهذا كله من التشبه بالكفار والزنادقة والجهال .
وفيه طعن عظيم على السنُةً وأهلها بأنهم لم يكونوا يُحسنون تكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صالحين !

هذا مع ما فيه من الكبائر والموبقات المرتكبة فى تلك اليالي , فهذا يزيد ذنوبهم إلى حد الكبائر.
وأول ما أحدث العُبَيْديون الملاحدة الذين لقبوا أنفسهم بالفاطميين كعادة الزنادقة من التمسح في أهل البيت , فأحدثوا ذلك فى القرن الرابع , فابتدعوا المولد النبوى ومولد علي وفاطمة والحسن والحسين وملوك زمانهم , ثم أحدث المولد النبوى في بلدة إربل بالعراق فى القرن السابع , وعمل ملكها فيه احتفالات كباراً وأطعمة ظناً منه أن هذا هو الفرح بمولده صلى الله عليه وسلم !
والصلاة وهي من أعظم القربات
لو صلاها إنسانٌ في غير وقتها متعمداً
لكان مذموماً مخالفاً للسنة غير مقبول بل هو معاقب على البدعة .
إنها بدعة على بدعة
ليلةٌ لا يُحتفل بها
مراسم احتفال لا أصل لها

فكيف بالمفاسد والكبائر من التبرج والأغاني والرياء والإسراف وشد الرحال إلى القبور واتخاذ القبور كالكعبة والموالد كالحج وهذا من الشرك الأكبر ؟!

ومن ذلك بدعة (عمرة المولد) وزيارة المدينة في شهر المولد !

حتى إن كثيراً يفضلها على عمرة رمضان التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عمرة رمضان تعدل حجة) .

أما عمرة المولد فهي بدعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) .

مردود عليه غير مقبول منه

بل هو آثم بما شرع في دين الله تعالى بعد تمامه .

ولا ينبغي لمن يخشى الله تعالى أن يكثر سواد العصاة , بل يدع العمرة في هذا الشهر كله , وخاصة في أوائله , وخاصة ليلة المولد !

(من كثر سوادَ قوم فهو منـهم) .
ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صوم يوم الإثنين هو يومٌ
(وُلدتُ فيه)
(وأُنْزِلَ عليَّ فيه)
(تُعرَضُ الأعمال على الله فيه)
فأرشد إلى صيامه شكراً
كل أسبوع
لا كل سنة !
ولم يصم ولا احتفل لا هو ولا صحابته رضي الله
عنـهم بيوم شهر ربيع
فعلم كل من يعلم أن ذلك الاحتفال بدعة ,
ومشابهة للزنـادقة العُبيدية , وللكفار الذين
يحتفلون بعيد الميلاد للمسيح – عليه السلام .
وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في
اليوم ذاته
فلو ذكرتم موته لذهبت عنكم كل فرحة

فإن ذِكْرَ الموت هاذم اللذات – كما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولا شك بعد هذا كله
أنك لن تتكلم عن عيد ميلادك ولا ميلاد امرأتك
ولا أولادك
ومراسم هذا الاحتفال
من الشموع والمطعومات المزينة والمعازف
الحمقاء والتجمع اللاهي
ووالله لو جاز لك الاحتفال
فهل تحتفل بنعمة الله عليك بمعصية الله ؟!
فهي ظلمة على ظلمة !
ولو كنت تفكر
لشغلك الحزن على ما مضى !
لشغلك الفكر فيما مضى كيف مضى !
لشغلك الخوف من موتٍ يختبئ لك وراء كل نَفسٍ
ولحظة
ثم ما بالك تغالي بنفسك وتحتفل بمولدك
وخير الناس لم يحتفل بمولده ؟!

الباب الحادي عشر

ليالي رجب

هو شهر من الأشهر الحرم , وهي شهور ذات فضل , يستجاب فيها الدعاء – كما سبق في المحرم .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان) .

(ذاك) يعني شهر شعبان (شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان)

فهذا ظاهر في تنبه الناس لفضله .

وصحَّ عن أبي قِلابة عن أنس رضي الله عنه موقوفاً :

(من صام يومًا من رجب

بنى الله له قصراً فى الجنة)

رواه التيمي والبيهقي عن أبي قلابة , وصاحب تاريخ دمشق وصله بذكر أنس رضي الله عنه .

واستحب كثير من السلف الصالح – رحمهما الله تعالى – العمرة فيه .

وروي في إحياء أى ليلة من لياليه أحاديث ساقطة الإسناد

وروي في أول ليلة منه :

عن عمر بن عبد العزيز وخالد بن معدان – رحمهما الله تعالى – بإسنادين ضعيفين .
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضلها وإحيائها , والإسناد واه .
وقال الشافعي – رحمة الله تعالى : (بلغنا أنه كان يقال : إن الدعاء يستجاب في تلك الليلة , وأنا أستحب ذلك) يعني الدعاء فيها وإحيائها بالذكر والصلاة .
وفي أول ليلة جمعة من شهر رجب يجتمع بعضهم في المسجد بين المغرب والعشاء على صلاة سموها (صلاة الرغائب) وضع لها الكذابون أحاديث !
وهذه الصلاة بدعة باتفاق المنسوبين إلى العلم وكان أول ظهورها بعد الأربعمائة .
وكذلك ما رُوي : (من أحيي أول ليلة من رجب) فهو باطل (رجب للخلال / 6 وموضوعات 2/ 280) .
وأما ليلة السابع والعشرين :

فيزعمون أنها ليلة الإسراء والمعراج

فمن الاحتفال به
من وُلد فيها من الإناث سموه : إسراء !
فلماذا لا يسمون الذكور أيضًا ؟!
ولماذا لا يسمون بالمعراج ؟!
فلا ينبغي التسمي لأنه إحياء لهذه البدعة
ولا ينبغي أن تقرَّ التسمية منك بمناداة هذا الاسم ، ولا لصاحبته إلا أن تغيِّره ، وإذا نوديت به لا تجيب !
ويأتون المساجد ويزيدون أنوارها ويجتمعون على ذكر قصص الإسراء والمعراج
ثم يرجعون إلى بيوتهم على المطاعم والمشارب والملاهي والأغاني إلى قرابة الفجر !
ولم يصح وقوع شيء من الحوادث العظام في شهر رجب
كمولده صلى الله عليه وسلم
ولا بعثته
ولا الإسراء

فإن ذلك روي بإسناد 99فلا يصح عن القاسم

بن محمد أنه كان في سابع وعشرين وأنكره أهل العلم كإبراهيم الحربي وغيره , ورجحوا أنه كان في ربيع الأول .

و هَبْ أنه كان في تلك الليلة

فلماذا لم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته – رضوان الله عليهم , ولا التابعون من بعدهم ولا من بعدهم حتى صاروا هؤلاء بعد مئات السنين من موته صلى الله عليه وسلم يحتفلون بها ؟!

و هَبْ أنهم كانوا يحتفلون بها

فهل كانوا يحتفلون بها بهذه الطريقة ؟!

فهذه بدعة مركبة , والله المستعان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لَا تَتَّخِذُوا شَهْرًا عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا يَوْمًا عِيدًا)

رواه عبد الرزاق من مرسل طاوس بسند صحيح

وروى في صيام وقيام تلك الليلة ويومها والإسناد بذلك باطل

(البيهقي في الشعب والفضائل , وغيره – وانظر الجرح والتعديل 3/ 47 وتخريج الإحياء 1187 و 1188) .

الباب الثاني عشر

ليلة النصف من شعبان

فأما ما ورد من الحديث فى فضلها :

1- ذُكر فى الليالي التى تنزل فيها الرحمة .

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إِذا كان لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ :
فيغفر للمؤمنين , ويملي الكافرين , ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه)
(فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)

وهذا الحديث له طرق ، وصححه بعض من صنف في الصحيح , وفيه عن عطاء بن يسار وغيره من التابعين .

قال في اللطائف : (قد فسَّر الأوزاعي هذه الشحناء المانعة بالذي في قلبه شحناء لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
ولا ريب أن هذه الشحناء أعظم جرماً من مشاحنة الأقران بعضهم بعضاً .
وعن الأوزاعى أنه قال : المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة .

قال ابن ثوبان : المشاحن هو

التارك لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
الطاعن على أمته السافك دماءهم .
وهذه الشحناء – أعني شحناء البدعة – توجب الطعن على جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم كبدع الخوارج والروافض ونحوهم .
فأفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم [وتجهيلهم]
ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه وقد وصف الله تعالى المؤمنين عموماً بأنهم يقولون :
(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) [الحشر/10] .

كذا قال ابن رجب في لطائفه 102

وآخره ليس بلطيف
وآخره ينقض أوله !
فإن سلامة القلب من الشحناء
هي من أهل السنة لأهل السنة
أما القلب الذي ليس فيه بغض وبراءة من المعصية والبدع وأهلها
فهذا قلب ميت
أليس يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيمن ينكر بقلبه فقط مع قدرته على ما هو أكثر :
هذا أضعفُ الإيمان .
أليس يقول فيمن لا ينكر قلبه المناكر :
ليس وراءَ ذلك من الإيمان حبة خردل .
والاستدلال بالآية
وقع فيه شيخه ابن تيمية أيضًا
ظنَّ أنه يمكنه قولها في كل مسلم
ولو كان فاسقًا أو خارجيًا أو مبتدعًا بدعة كفر !

قال في المنهاج : 103(وإذا لم يكونوا في

نفس الأمر كفارًا لم يكونوا منافقين فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم .
وإذا قال المؤمن ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان سبقه من قرون الأمة بالإيمان
وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فخالف السنة
أو أذنب ذنبًا
فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في العموم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة) !
وقد رددتُ هذا الكلام في النصيحة بما يناسبه !
ولا هو من منهاج السنة في شيء !
وإجماع أهل السنة على خلافه !
وهو من العجائب في فهم الدين والقرآن !
ولا أقول فيه إيجازًا إلا :
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ
مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا
سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ [النور/16] الآيات !

وله في الاختيارات خلافه على نظرٍ في بعضه :
(لا يجوز لأحدٍ أن يَترحم على مَن مات

كافراً ومَن مات مُظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر .
ومَن امتنع من الصلاة على أحدهم زجراً لأمثاله عن مثل فعله كان حسناً) .
ولم يذكر البدعة وإن كان الفسق يعم كل معصية ، لكن جرى أهل العلم على ذكر الفسق والبدعة من باب عطف الخاص على العام والجزء على الكل لبيان أهمية الخاص والجزء ، وفي هذه المسألة بحث يطول !
ولم يذكر الانسلاخ من الإيمان إلى الإسلام !
واختار استحسانًا الجمع بين ترك الترحم علنًا ، والترحم سرًا !
وقوله في المُظهِر فيه تلميح لمسألة التفرقة بين المبتدع الداعية وغير الداعية !
وقد بينتُ هذا كله في النصيحة .
ثم درج على الاستدلال بها بعد ذلك : المرجئة !

وإنما الآية تصف قول الصحابة الذين تأخر إسلامهم في السابقين [105] الأولين منهم .

هذا فيمن سبقك بالإيمان والسنة
لا بالبدعة والضلالة والمعصية !
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أوثق عُرَى الإيمان الحب في الله والبغض في الله
من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله
وأنكح لله فقد استكمل الإيمان .
فإن كنت تعبد الله بالحب لأهل الكفر والبدع
والمعاصي فأنت مرجئ ضال .
وإن كنت تعبده بالبغض لأهل الدين والسنة فأنت
خارجيٌّ ضال .
بل فاعبده
بالرجاء في رحمته والخوف من عذابه
وبالحب له والخوف منه , وبالحب لمن يحبه من
عباده الصالحين
والبغض لمن يبغضه ويلعنه من كافر وفاجر
فاحفظ عليك دينك لا تهلك .

3- الليلة التى تُنسَخُ فيها الآجال من شهر تُرفَع
فيه الأعمال :

رُوي من وجوه ، وقد بينتُ قوته في جزء مفرد .
4- قد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث على فضل صوم الأيام البيض من كل شهر , وعلى فضل شهر شعبان .
وكان صلى الله عليه وسلم أكثر صومه من الأشهر شهر شعبان حتى كاد أن يُتم صومه .
ومما ورد من الحديث في التعبد فيها :
1- حديث (من أحيى الليالي الخمس) وما في معناه , ولا يصح .
2- قصة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما في قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة – قد رُويت من طرق ضعاف .
3- روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد واهٍ :
(إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها) .

4- وروى بعض الكذابين حديث الصلاة الألفية :
(من صلى ليلة النصف مائة ركعة

يقرأ في كل ركعة عشر مرات قل هو الله أحد)
فهذا حديث موضوع .
5- وروي عن عمر بن عبد العزيز وخالد بن معدان – رحمهما الله تعالى – في فضل إحيائها بالذكر والدعاء .
وأما حال السلف الصالح فيها :
فقد قال في اللطائف :
(ثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم كانوا يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة , وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها .
وقد قيل : إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيليلة !
فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك :
1- فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها

منهم طائفة من عُبَّاد أهل البصرة وغيرهم .
2-وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز

منهم عطاء بن أبي رباح وابن أبي مُلَيْكة .
ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة , وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا : ذلك كله بدعة .
واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين :
1- يستحب إحياؤها جماعة فى المساجد :
كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك .
ووافقهم إسحاق بن راهوية على ذلك , وقال في قيامها في المساجد جماعة : ليس ذلك ببدعة – نقله عنه حرب الكرماني في مسائله .
2- يُكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء , ولا يُكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه

وهذا هو قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم .

وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى .
وقال الشافعي – رحمه الله تعالى :
بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال :
ليلة الجمعة , والعيدين , وأول رجب , ونصف شعبان .
قال : وأستحب كل ما حكيتُ في هذا الليالى) .
وقال الفاكهي في أخبار (3/ 84) :
(ذِكْر عمل أهل مكة ليلة النصف واجتهادهم فيها لفضلها .
وأهل مكة فيما مضى إلى اليوم إذا كان ليلة النصف خرج عامة الرجال والنساء إلى المسجد [الحرام] .
فصلوا
وطافوا وأحيوا ليلتهم حتى الصباح بالقراءة في المسجد الحرام حتى يختموا القرآن كله .
ويصلوا .

ومن صلى منهم تلك الليلة مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بالحمد وقل هو الله أحد عشر مرات .

وأخذوا من ماء زمزم تلك الليلة , فشربوه , واغتسلوا به , وخبؤوه عندهم للمرضي يبتغون بذلك البركة في هذه الليلة) .
ومما يفعله الناس في هذه الليلة مما لا أصل له :
1- صلاة ست ركعات بنية طول العمر ورفع البلاء !
2- قراءة سورة يس , والدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف !
3- زيادة تنوير المصابيح في هذه الليلة والشموع والنيران !
4- اتخاذ ذلك موسماً للأطعمة والزينة كالعيد !
5- المغالاة فيها .
حتى جعلها بعضهم مثل ليلة القدر
فقال ابن أبي مُلَيكة – التابعي الفقيه رحمه الله : (لو سمعت من يقول ذلك وبيدى عصا لضربته بها) .

وبعضهم يسميها ليلة البراءة , ولا أعلم لذلك أصلاً .
فالخلاصة هي ليلة طيبة من شهر طيب ،

وهي ليلة من الليالي البيض .
ولا ينبغي إهمالها في العبادة المشروعة .
وينبغي الحذر من البدع ومما لا أصل له .

وانظر لذلك :
ابن ماجه 1388 وعبد الرزاق 4/ 316 – 318 والطبرانى فى الدعاء 606 والعقيلي 3/ 29 وفضائل رمضان لابن أبي الدنيا 1/ 5 ولابن الدبيثي والتيمى 1854- 1865 والبيهقي في الفضائل 22- 29 والشعب 7/ 407 – 425 والخطيب 285/14 والتاريخ لأحمد 2/ 128 وعلل الدارقطني 6/ 50-51 و 343 – 324 والنزول له والجامع البهي / باب 62 والعلل المتناهية 2/ 66 – 72 والحدائق 2/ 258 والمجالسة 944 و لطائف ابن رجب .

ومن التنبيه للمناسبة
أن النهي عن الصوم بعد نصف شعبان
الراجح أنه لمن يبتدئ بالصوم من هذا الوقت
لا لمن يصوم من أول الشهر .
خلافًا
لمن أطلق القول بضعف حديث النهي بلا علة له في السند !

الباب الثالث عشر
ليالي شهر رمضان

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ
فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [البقرة/185] .
كان أهل الخير يعرفون فضل هذا الشهر ,
وحلاوة العبادة في لياليه
فكانوا يدعون الله بصدق أن يبلِّغهم إياه .
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(اللهم بارِكْ لنا في رجب وشعبان
وبَلِّغنا رمضان) .
فإذا أقبل :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر
أصحابه بقول :
قد أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ
فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ،
تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ
، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ

لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ
مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ .
وكان بعض التابعين **(مكحول ويحيى بن**

أبي كثير) يقول إذا دخل شهر رمضان :
(اللهم سَلِّمني لرمضان , وسَلِّم رمضان لي ,
وتسلمه منى متقبلاً) .
وقد روي هذا من قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعلمهم أن يقولوها إذا جاء رمضان .
وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إذا سلم رمضان سلمت السنة) ولا يصح
ومعناه صحيح لما صح :
(من أدرك رمضان فلم يُغْفَر له فأبعده الله) .
وقال ابن أبى رَوَّاد وهو من أتباع التابعين مات
سنة (159) :
كان المسلمون يدعون عند حضرة شهر
رمضان :
(اللهم أظلَّ شهر رمضان وحضر
فسَلِّمه لي , وسَلِّمني فيه , وتَسَلَّمْه مني .

اللهم ارزقني صيامه وقيامه صبراً واحتساباً
وارزقنى فيه الجِدَّ والاجتهاد والقوة والنشاط

وأعذني فيه من السآمة والفترة والكسل والنعاس
ووفقني فيه لليلة القدر
واجعلها لي خيراً من ألف شهر) .
وروى أن علياً رضي الله عنه كان يقول :
(اللهم أدخله علينا بالسلامة والإسلام , والصحة
من الأسقام والفراغ من الأشغال
ورَضِّنا فيه باليسير من النوم) .
(الدعاء للطبراني 912- 914 والترغيب للتيمي 1761 , و 1782 و 1784 ...) .
وكان أهل المدينة – زمن التابعين- إذا دخل
رمضان يبتدئون فى صلاة التراويح أول ليلة بـ
(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) .
وقيل : من قرأها أول ليلة فى التطوع حُفظ في
ذلك العام .
(رواه محمد بن نصر في قيام رمضان [160/ المختصر عن أبي حازم .
وقول المسعودي وهو من أتباع التابعين : بلغني أن من قرأ ...
رواه أبو محمد الخلال في أماليه (27 والسِّلَفى في الطيوريات ([]والدر المنثور) والمشيخة البغدادية [1/40/ق[])

فإنه إذا كان أول ليلة منه صُفِّدَت

الشياطين , وغُلِّقت أبواب النار , وفُتِّحت أبواب الجنات , ونادى منادٍ هذه الليلة وكلَّ ليلة :
(يا باغيَ الخير أقبلْ , ويا باغيَ الشر أَقْصِرْ) .
حتى الصائم القائم المطيع في غير رمضان يحسُّ بحلاوة في عبادته فيه مما لا يجدها في غيره كيف لا وهو شهر مبارك تضاعف فيه الحسنات أضعافاً كثيرة ؟!
- وهي فرحة كل ليلة من لياليه :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(للصائم فرحتان :
فرحة عند فطره)
بتمام صومه كما ذُكر في قوله عند الفطر :
الحمد لله الذي أعانني فصمتُ ، ورزقني فأفطرتُ
(وفرحة بصومه عند لقاء ربه)
فمن صام بحقٍّ : صامك سمعه وبصره وبدنه وفكره عن كل حرام

فإن له فرحة لا يعرفها هؤلاء الذين يترقبون هذا الشهر لملء بطونهم وضياع دينهم

بالمعاصي والملاهي أكل البهائم وحياة السكارى .
ولكن احذر من مكر الشيطان بك
فمن كان معذورًا بالفطر لسفر أو مرض أو حال مما ابتلى الله تعالى به بنات آدم
فإن الشيطان يصيبه باليأس أن قد قد ضاع منه الشهر
فالشهر للصائم والمصلي وقارئ القرآن فقط !
وهذا جهل فاحش !
فما فقدتَ بسبب العذر الشرعي شيئًا لا يعوَّض !
وقد ذكرتُ في كتابي : غرائب الأحكام في هداية الحائض فيما سقط من الفرائض
فالصوم الذي فاتك
ما فاتك !
هل تظنُّ أن الصوم هو فقط الذي تعرفه ؟!
(رُبَّ صائمٍ
ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش)

(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ

فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)
فقد مُنعتَ من الصوم عن الطعام والشراب
فهل مُنعتَ عن الصوم عن قول الزور ووو؟!
والصلاة التي فاتتكِ للحيض أو النفاس
ما فاتتك !
فقد كان بعض الصحابة يأمر المرأة إذا حاضت
وحضر وقت الصلاة
أن تتوضأ وتردد الأذان وتذكر الله تعالى في هذا
الوقت الطيب ، فإن أوقات الصلاة المكتوبة
والتطوع كصلاة الضحى وما بين المغرب
والعشاء والليل هي أفضل ساعات اليوم .
وقراءة القرآن التي فاتتك حائضًا أو نفساءَ
ما فاتتك !
يمكنك القراءة بالنظر والقلب
دون اللسان
دون المصحف بل القرآن من غير المصحف
ككتاب التفسير

بل وهذا أحب إليَّ

وكم فرط فيه من فرط !
كم ممن حرم نفسه
من لذة سماع القرآن !
ومن ثواب سماع القرآن !
ومن فوائد سماع القرآن !
قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه :
قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»
قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟
قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» .
وأنا أقول حتى لمن لم يمنعه مانع من القراءة :
اسمع
ليكن لك في هذا الشهر ختمة سماع ممن يُحسن القراءة !
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقى جبريل عليه السلام كل ليلة من ليالي هذا الشهر لذلك .
- وليلة النصف منه

هي ليلة طيبة من كل شهر

فهي من الليالي البيض التي تتم فيها نعمة الله تعالى على عباده بتمام ضوء القمر دون كسوف ولا نقص هلال
فكيف بها في هذا الشهر ؟!
لكن ما رُوي في صلاة مخصوصة فيها من عدد للركعات أو قراءة فلا يصح
(الدعاء للطبراني / 917 ورمضان لابن أبي الدنيا / 9) .
ـ وأما ليلة سبع عشرة وقيل تسع عشرة فهي ليلة غزوة بدر في السنة الثانية
وصبيحتها هو يوم الفرقان كما سماه الله تعالى لأنه فرق فيه بين الحق والباطل وأظهر الحق وأهله على الباطل .
وذكر جماعة من السلف أنها ليلة القدر وليلة المعراج .
وخصّها غير واحد منهم في العبادة والعمرة .
ـ وأفضله العشر الأواخر منه
كلها وترها وشفعها
وأذكر لك قصة تجعلك لا تفرط في شفع ولا وتر !

قبل القصة رواية وتحذير
أما الرواية
فقول أبي عثمان النهدي وهو من كبار التابعين
يقول عن السلف الصالح رحمهم الله :
كانوا يفضلون العشر الأواخر من شهر رمضان
فهي كلها مفضلة ، فلا تكسل .
أما التحذير
فهو الشك في الرؤية
فصومكم يوم تصومون
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أما القصة
فقد كنت في مكة في سنة من السنوات في العشر
وكان يوم الخميس
إما أن يكون متمم شعبان أو مفتتح شهر رمضان
ولم يُعلن
ولم أعلم حتى قرابة ظهر يوم الخميس
فأفطرتُ

وليلة التاسع والعشرين
كنت في المسجد الحرام
وبعد صلاة التهجد سرت شائعة يتناقلها الناس
أن العسكري الذي بجوار الحجر الأسود قال :
غدًا العيد !
ووصلتني الشائعة
فقلت : كيف يكون شهرٌ ثمانية وعشرين يومًا ؟!
وبينما نحن في حيرة
إذا بصوت المدافع يدوِّي
وهي علامة مبتدعة على العيد وعلى الإفطار في بعض بلاد المسلمين
فقطعت جَهيزة المدافع قول كل خطيب وشاكٍّ !
الوقت لا يسعنا أن نرجع إلى بيوتنا لنغتسل
ونلبس ملابس العيد
وأسعار الملابس مرتفعة جدًّا فرصة للبائعين !
وأسكتت فرحة العيد غمَّ ونكد اختلاف ليالي الوتر !

وكانت القصة أن الخميس ذاك هو أول الشهر
لكن الرؤية لم تبلغ القضاء إلا في وقت

متأخر ولم يبلغها الناس إلا كما قصصتُ !
ورؤي هلال العيد في تلك الليلة !
أو رؤي هلال العيد في تلك الليلة
ولما كان هلال شهر رمضان لم يُرَ
إنما أتموا شهر شعبان لعدم رؤية الهلال
وفي المسلك الثاني نظر .
وقد وقع نحو هذه القصة فيما روي زمن علي رضي الله عنه .
فإياك والتفريط
وإياك أيضًا من تفريط آخر
وهو أن تظن أن ليلة القدر هي ليلة كذا
فتكسل عما بعدها من الليالي الوترية !
فإن هذا من وساوس الشيطان
ليصرفك عن الخير !
فحتى لو لم تكن
أما ينبغي ألا تكسل عن الخير ؟!

وكم من ليلة تكون لسماحتها فتظنها هي

ثم تكون الوتر التي بعدها وبعد بعدها أكثر سماحة !
وجزمك بأن ليلة القدر هي الليلة قبل أن ينتهي الشهر
مجازفة
إذا كنت تقول بانتقال ليلة القدر بين الليالي
أما من يقول بأنها ليلة بعينها لا تتغير كل سنة فهذا شيء آخر .
وفرحة دخول العشر للاعتكاف للعبادة
لا للسمر والضحك والكعك والأسواق !
لا للدروس !
لا للتربيط للحزبية والتجمعات الطائفية !
حتى ابتدع بعض الصوفية في زماننا سلسلة لقاءات العشر أمام الكعبة لقراءة كتب الحديث !
ولا فى مسجد بدعة
وإلا فبيتك أولى بك .
وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يلزم بيته في العشر إلا الفرائض .

والمرأة اعتكافها في بيتها أفضل لها ولغيرها
بل صلاتها
بل خروجها وهي متسترة التستر التام
فكيف بحال النساء اليوم
كل خطوة تمشيها
في لعنة من الله والملائكة والصالحين
في فتنة لعباد الله ولعباد الشيطان
حتى تلك المنتقبة
بل المنتكبة التي ظنت النقاب منتهى المطاف
وإنما هو بدايته !
تغطي وجهها بغير ساتر !
وتكشف جسمها بالملابس الضيقة أو اللامعة ؟!
ألم تعلم أن نساء النار من الكاسيات العاريات ؟!
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ [الأحزاب/33]
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(بيوتهن خيرٌ لهنَّ)

أفضل من صلاتكِ في مسجدي) .
فرحة بالإقبال على الطاعة في الليل كله صلاة وقراءة للقرآن وسماعاً له وذكراً ودعاء
لا اشتغال بكلام ولا زيارات
ولا حتى بالأكل فقد كانوا يفطرون على تمرات ثم يؤخرون طعامهم ، ويتقللون منه ، فإن كثرة الطعام مَكسلة ومَجلبة للنوم .
مع الاغتسال كل ليلة بين المغرب والعشاء (عبد الرزاق 3/ 355 ...) , والتطيب ولبس أحسن الثياب , وتطييب المصلَّى وإيقاظ الأهل للصلاة والدعاء .
ومنهم من يعتمر في تلك الليالي المباركة ,
وأكثرها بركة ليلة القدر كما قال الله تعالى :
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ [الدخان/3]
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [القدر/1 - 5] .

قال بعض السلف : عملها وقيامها

وصيامها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .
ليلة سمحة
لا حرَّ ولا برد ولا ينبح كلب ولا ينهق حمار ويصيح الديك لكثرة ملائكتها
ولكن أين ذلك وقد ملأتم الأرض بالرقص والزمر والصور الفاجرة وصور الذكرى الخالدة ؟!
فالله المستعان .
وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :
يا رسول الله , أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر فماذا أقول ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قولي
(اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ , فاعفَ عني) .
قال سفيان الثوري – رحمه الله تعالى :
(الدعاء في تلك الليلة أحب إليَّ من الصلاة , وإذا كان يقرأ ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق) .

قلت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فإذا مَرَّتْ به آية رغبة سأل , وآية رهبة تعوذ , فالدعاء في الصلاة وقوفاً أو ركوعاً أو سجوداً أفضل .
وأما فرحة الجاهلين بسهر الليالي على الملاهي المحرمة , أو صناعة حلويات العيد (قال في المدخل 1/ 288 : الصوم يجفف الرطوبات ويعصم , فإذا أفطروا على الكعك زادهم إمساكاً وجفافاً , فيتضرر البدن بذلك) , وما يكون من ذلك من إسراف ومجالس غيبة ونميمة وضياع الليل دون ذكر
قال بعض من صنف في ذم البدع :
(ومن البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين) .
وكذلك من البدع احتفالهم في المسجد بها بغير الذكر والدعاء والصلاة , بل بالرقص والغناء ! .
ـ وأما آخر ليلة من رمضان :
فقد يكون فيها بعض فرح بالإفطار والعيد

لكن الذى يغلب على العُبَّاد فيها الشعور بالموت , والحزن لفراق هذا الشهر المبارك , والحزن إذْ لا يدري على أي شيء يفارقه هذا الشهر :
(من أدرك رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله)
فإن كان غُفر له أهمَّه ما بعده أن يستقيم على الطاعة لئلا يفسده
وإن لم يكن غُفر له فمتى ؟ !
وذكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول فى آخر ليلة :
من هذا المقبول منا فنهنيه .
من هذا المحروم المردود فنعزيه .
أيها المقبول هنيئاً هنيئاً , أيها المحروم جبر الله مصيبتك !
رواه أبو الشيخ ([] ومن طريقه الشجري [2/ 48]) .
وروواه الفريابي فى الصيام وصاحب تاريخ دمشق وغيرهما **من قول التابعي عَدِي بن أرطأة كان يخطب بعد إنقضاء شهر رمضان يقول :**

كأنَّ كبدًا لم تظمأ , وكأنَّ عينًا لم تسهر !
فياليت شعرى :
من المقبول منا فنهنيه
ومن المردود منا فنعزيه
فأما أنت أيها المقبول فهنيئاً .
وأما أنت أيها المردود فجبر الله مصيبتك .
ثم يَبْكي ويُبْكي .
- إن لهذا الشهر أُنْسًا وألفة وبهجة
تكون في قلب الصالح
حتى قيل :
لو يعلم العُبّاد ما في هذا الشهر من الخير
لتمنوا أن يكون السنة كلها
نعم لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا اللفظ
لكن معناه من ذا الذي يردّه ؟!
إن العبادة فيه لها مذاق في القلب ليس هو
موجودًا في السنة كلها .
لكن احتال شياطين الإنس والجن على الشر فيه !

الباب الرابع عشر
ليلة عيد الفطر
قال مجاهد – رحمه الله تعالى :
(ليلة الفطر كليلة من ليالي العشر) .
وقال مكحول – رحمه الله تعالى :
(من أحيى ليلة العيدين أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب)
وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وروي عن خالد بن معدان وعمر بن عبد العزيز – رحمهما الله تعالى – فى فضلها .
ومن ذلك :
1- صلاة الليل , والاغتسال قبل ذلك
كان بعض التابعين يفعله كعبد الرحمن بن يزيد بن الأسود – رحمه الله تعالى .
2- الدعاء لقول الشافعي – رحمة الله تعالى :
(بلغنا أن الدعاء يُستجاب فيها) , واستحبه .
وأفضله كما سبق ما كان فى صلاة .

3- التكبير

وقول الله تعالى : (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) [البقرة/ 85]
سئل الزُّهْري – رحمه الله تعالى – عن التكبير ليلة الفطر , فقال : (التكبير يوم الفطر) وترك ليلة الفطر .
رواه الفريابي فى العيدين (58) .
وذكر ابن علان فى فضل العيد (- / ق) : (عند الطبراني فى معجمه عن ابن المسيب وعروة وأبى سلمة وأبى بكر أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر فى المسجد يجهرون بالتكبير) .
كذا قال ، ولم أجده في المعاجم ولا الزوائد !
وقال الشافعي : (روي عن سعيد وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر ويحمدون) .
قال الشافعي : (وتشبه ليلة النحر بها) .
ورُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :
(حقٌّ على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا إلى انقضاء الخطبة) .

رواه عبد الرحمن بن زيْد بن أسلم عنه ،

وقال عقبه : (والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلَّى) .
وروى الفاكهي (1703) عن ابن أبي عُمر عن سفيان بن عيينة في هذه الآية قال : (نرجو أن يكون التكبير ليلة الفطر) .
لكن رواه ابن جرير في تفسيره من طريق ابن المبارك عن سفيان قال :
(بلغنا أنه التكبير يوم الفطر) .
وروي عن زيد بن أسلم قال : (من حين يرى الهلال) .
لكن رواه غيره عن زيد : (يوم الفطر من حين يخرج من داره) .
قال الفاكهي : (وزعم المكيون أنهم رأوا مشايخهم [من أتباع التابعين] يكبرون ليلة الفطر إلى خروج الإمام يوم العيد , ويُظهرون التكبير ويرونه سنة ، وهم على ذلك اليوم) .
فالتكبير في المسجد يحتاج إلى رواية قوية .

وقد يقضي بعض هذه الليلة في إخراج زكاة الفطر
اتباعًا للسنة ، وشكرًا لله على تمام نعمة الصوم
وبلوغ الفطر ، وطهرة للصوم ، ومواساة للفقير
فهذا وقتها ليلة العيد إلى صلاة العيد
ومن أخرجها إلى الفقير قبل ليلة العيد
فليس له حجة صحيحة
إنما يحتج برواية مختصرة أصلها أن الإخراج
قبل يومين كان لمن يجمع الصدقات ليوزعها
على الفقراء لا للفقراء !
وإخراجها ليلة العيد هو المناسب لما فيها من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
5- وبعض الناس قد يُحيي هذه الليلة
بل يُميت الليلة :
أ- بالبيات في القبور رجالاً ونساءاً
وهذه بدعة في الدين ، ومفسدة في الدنيا .
ب- بالانشغال بزخارف ليس وراءها إلا الإسراف والسفه !

ت- بالمعاصي !

فقد دلَّ على أن صيامه لم يُفده شيئًا !
فإن الله تعالى افترض الصيام : لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
[البقرة/183]
6- ومع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(للصائم فرحتان : فرحة عند فطره)
إلا أن المرء قد يعتريه حزن على تقصيره في رمضان , فلا ينبغي له أن يَدَعَ هذا الحزن يفسد عليه فرحة العيد
لكن فرحة العيد ليست بلبس الجديد !
ولا يذوق حلاوتها إلا من اجتهد قبل العيد معتكفاً أو عابداً , فاسأله كيف فرحته , سيقول لك : كأنى لا أمشي على الأرض !
7- خضاب النساء
كان طاوس – التابعى الفقيه , رحمه الله تعالى – لا يترك امرأة عنده إلا أمرها بخضاب يديها ورجليها وقال : (يوم عيد)
[رواه عبد الرزاق وعلقه البخاري في تاريخه وغيره] .

لكن هذا لمن تستر يديها ورجليها عن

نظر الرجال غير المحارم
وإلا فلا !
8- كان من اعتكف العشر يبيت ليلة الفطر في المسجد يتعبد , ويخرج من المسجد بعد صلاة الفجر إلى المصلى فإنه يستحب للمعتكف أن يبيتها فى معتكفه ويخرج منه إلى المصلى فى ثياب اعتكافه :
قاله الأثرم عن أحمد
وقال المَرُّوذى عنه : (لا يلبس ثيابه يوم العيد , ويشهد العيد فى ثيابه التى اعتكف فيها .
قال نافع : كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يبيت فى المسجد ليلة الفطر , ثم يغدو منه (إلى صلاة العيد) إذا صلى الصبح ولا يأتي منزله .
وقال إبراهيم : (كانوا يحبون لمن اعتكف العشر الأواخر من رمضان أن ينام ليلة الفطر فى المسجد , ثم يغدو إلى المصلى من المسجد) .
واعتكف أبو قِلابة فى مسجد قومه

قال أيوب : فغدونا عليه غداة الفطر وهو

فى المسجد , فخرج كما هو من المسجد إلى المصلى (ابن أبى شيبة 2/ 337 وسعيد بن منصور وعبد الرزاق 3/ 309 وشرح العمدة / الصوم 2/ 846- 847) .

وكان أيوب ليلة الفطر يغتسل

(فضائل رمضان / ابن أبى الدنيا)

أما زمانك

فهؤلاء إذا ثبتت رؤية هلال شوال بادروا للخروج من المسجد جفاءً كأنه حمل ثقيل وانزاح عنهم !

مع أنهم كانوا فى معتكفهم غير معتكفين كما سبق !

وهذا المكث ليلتها موافقٌ لأحكام كثيرة في الفراغ من العبادة .

وهاك هذه القصائد لي

في أول عيدٍ ينزلُ بي

وكنت في محنة عظيمة

حُرمتُ بسببها داري بالمدينة وكتبي ونفسي لغير ريبة إلا السنة !

والله المستعان .

أيُّ عيدٍ ودياري .... لم تكن مني قريبه
ليس عيدًا قطُّ لكن ... قد ترى القُمْشَ قشيبه
وابتسامًا في اصطناعٍ ... فوقه العينُ الكئيبه
تحت هذا الثوب قلبٌ .... لن ترى أبدًا نَحيبه
لم يكن حزني بوترٍ .... بل جيوشٌ وكتيبه
لستُ أدري أي يومٍ .... كل أيامي رَتيبه
كيف أنساها دياري ... لستِ عن نفسي غريبه
إنما العيدُ اجتماعٌ ... في ديارنا الحبيبه
عند مخطوطات علمٍ ... والتصانيف النجيبه
ذا كتابٌ في الرجال ... والروايات الغريبه
ذا كتابٌ في التسننْ ... أو بيانِ أمرِ غِيبه
ما جرى بالأمس أمْرٌ ... كنتض يا ربي حَسيبَه
قد رَضينا اللهَ ربًّا ... كلنا يلقَى نصيبَه
أحمدُ الرحمنَ أني ... لم أغادرْها بريبه
لم أغادرُها اختيارًا ... بل بلاءٌ ومصيبه
ذاك أني كنتُ أدعو ... سُنَّةَ الذي بطِيبه
فصلاة الله دومًا ... ليس فيها مِن مَعيبه
كلُّ ما لم تَلْقَ هَدْيًا ... أَلْقِ فورًا في الزَّريبه !

والحريقُ بالمصلَّى ... كاختلافاتٍ مريبه
غير أن الناس عادَوْا ... كل ما عَدُّوا عجيبه
جاء شريرٌ بسوءٍ ... تلك أيامٌ رهيبه
أذكرتني نزعَ روحٍ ... آذنتنى بالمصيبه
بصَّرَتْنى أن سألقى ... بعدُ أيامًا عصيبه
قد تركنا الدارَ ملأى ... دارُنا أمستْ سليبه
وانتُزِعْنا نَزعَ كُرْهٍ ... ما تركناها بطِيبه
ضاع منا مذ قدمنا ... ليس والله الحقيبه
أينما يممت طَرْفي ... لا أرى إلا مصيبه
ليس يأساً منك ربي ... إنما حباً لطيبه
يغفرُ الرحمنُ ذنبي ... إن رحماه قريبه
وقلت أيضًا :
أيُّ عيدٍ للبعيدِ ؟! ... ليس هذا يومُ عيد !!
أيُّ عيدٍ ليس صَحْبُكْ ... فيه حولك بالسعيد ؟
تكثر الأوهامُ فيهم... ما بعيدٌ كالشهيد
هل تراهم فى حبورٍ ... قد تناسَوْا مِن شريد؟!
كيف يهنا لي طعامٌ... ما ثريدٌ كالثريد
كيف يهنا لي منامٌ ... مَن بنَوْمٍ للكَميد ؟

أنظمُ الدمعاتِ كُتْبًا ... زفرتي صارت بريدي
حال حالي دون نطقي ... أيُّ حرفٍ بالسديد
لستُ- والرحمن- أنسى ... لستُ- كلا- بالبليد
بل فؤادي في احتراقٍ ... قد تغطى بالجليد !
إنه في القلب حزنٌ ... ليس هذا بالزهيد
فافتراقُ اليوم ذكرى... لا فتراقٍ بالأكيد
ليت شعري كيف حالي ... عند ذا الأمر الشديد
تاركاً صحبي وكُتْبي ... قادماً بيت الصديد
ليس لي عملٌ تقدَّمْ ... عند ذي العرش المجيد
يا حيائي من كريمٍ ... كيف ظني بالحميد ؟
يا إلهي فاعفُ عني ... عند موتي بالمزيد
أيُّ عيدٍ للبعيد ... ما بدارك من قعيد
أين كُتْبي وفراشي ... ما قديمي كالجديد
ليست الدنيا بدارٍ ... فانعض هَمَّ المستزيد !
جامعاً منها حطاماً ... ليس ذا فِعلُ الرشيد
بانياً فيها قصوراً ... فِعلُ جبارٍ عنيد
إن ما تبنيه يَفنَى ... فابنِ ما تبني بشيد!
سوف تأتيك المنايا ... ليس عنها مِن مَحيد

أيُّ عيدٍ للبعيد ... فى اغترابٍ كالوحيد ؟
لا ترى إلفاً وخِلاً ... بل كشيطان مريد
فاغترابٌ فى سبيلٍ ... واغترابٌ في مَشيد
أيُّ عيدٍ للبعيد ... أيُّ عيد للعبيد ؟
عبدُ لذاتٍ وتَفْنَى ... إثمُها خناقُ جِيد
إنما العيد سرورٌ ... حين تنجو من وعيد
طائعاً دوماً قريباً ... ليس هذا بالبعيد
كم لربي مِن نعيمٍ ... نِعْمَ ربي مِن حميد
وأعلل نفسي بصدق وعد ربي
إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ
[القصص/85]
ستقول : هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سأقول : وكذلك لمن تبعه وسار على سُنته
قد قال بعض المتأخرين :
مِن علامة الاتباع أن تلقى ما لقيه من تتبعه !
إنه الوعدُ القريبُ ... سوف يلقاهُ الغريبُ
طبُّ قلبك ترتجيهُ ... عندَ مَن هو الطبيب
وانتظارُ الخير خيرٌ ... لستَ تأسَى يا حبيب
قل : كريمٌ وودودٌ ... قل : قريبٌ ومُجيب

الباب الخامس عشر
ليالي عيد الأضحى

هل رأيتَ من يتجهز للسفر إلى الحج ؟
واعجباً لك يفوتك الحج، ويفوتك أيضاً رؤية من يتجهز له !
أما هو
ففي فرحٍ عظيم
ربما خالطه ما يُذَكِّره بسفر الآخرة.
وأما أنت
فقد تكون في فرحٍ لرؤيته فَرِحاً.
وربماً تبكي لأنه فاتك أن تكون معه .
لكن قد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ !
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟
قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ .
فأنت معه بالأجر .
ولئن قويتْ نفسُك كنت معه بروحك وقلبك.

أما الصوفية فيقولون : بل بجسمه !
يقول ذاك السيوطي بأن تطوُّر الولي أن يكون له عدة أجسام في الوقت الواحد بعدة أماكن يقظةً !
أما المنام
فقد تستطيب المنام لعلك أن تكون في منامك حيث عجزتَ أن تكون بجسمك !
أما الصوفية
فبعضهم من أصحاب الشهادات شهادات الزور يقول :
سمعتُ في الإذاعة : لبيك اللهم لبيك
فاغتسلت ولبست إحرامي وذهبت أطوف بكعبتي قبر فلان ، فلقيت وليًا مجذوبًا فقال لي : حجك مقبول !
هل بعد هذا شركٌ ؟!
والله ما صنعه إلا قوم نوح ومن سر مسارهم من الطائفين بالأصنام يطلبون الغوث والمدد من القطب والوتد ، بل من الحجر والشجر !
كل أفعال الحجيج يفعلونه عند القبور !

قد علمهم ذلك الروافض الملاحدة حين حكموا مصر مائتي سنة
وانقطع حكم أسمائهم حتى إن المصري إلى يومك هذا بعد ألف سنة إذا اجتهد في سب أحد يقول له : يا ابن الرفضي !
لكن هو واقع في فعل الرفضي من عبادة القبور !
فإن كنتَ محرومًا مثلي
فإن الرحيم لم ينس المحروم !
فهذه عشر الحجة
قد قال فيها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ
وَلاَ الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ .
وروي : (الليلةً فيها كليلة القدر) .
والأيام عند العرب هى الأيام بلياليها
فانشغل بأعمال الخير كلها خاصة ما كان منها أجره كأجر الحج والعمرة
مما ذكره رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فإذا قدمتْ عليك ليلة التروية بفرحتها وأنت هناك
ثم ليلة بعدها تكون عرفة
وما أدراك ما عرفة
أفضل أيام الدنيا وأعظمها عند الله
وأشدها على الشيطان:
ينزل الله تعالى عشية عرفة إلى السماء الدنيا
يباهي ملائكته بعباده الصالحين:
أتوني شُعثاً غُبراً
فيغفر لهم
فما رُؤي الشيطانُ يوماً هو أصغرُ ولا أحقرُ ولا أدحرُ منه يومذاك.
فإذا غربت شمس عرفة
فالصالحون هناك
بين باكٍ حياءً من الله أوحباً له أو خوفاً منه،
ولكن :
تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الزمر/23]
فإذا أفاض من عرفات إلى المزدلفة ذاكراً شاكراً
وصلها في فرحة حتى يصبح بها
ليُتم مناسكه.

وأما أنت
أيها المحروم مثلي من عرفة والمزدلفة
فإحياء ليلة عيد الأضحى كما سبق في إحياء ليلة عيد الفطر بالصلاة والدعاء
عسى الله إن حرمك السفر لا يحرمك الأجر .
وكذلك ليالي منى وفرحتهم
هي عندك فرح
لكن هم يحسون بالفرح لما هم فيه
ولا تحسب أن الصالحين في لهو ولغو وسهو
بل (أيام منى أيامُ أكلٍ وشرب وذكر)
كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
حتى كان بعض السلف لا ينام إلا ساجداً .
ويُستحب أن يختم القرآن هناك
ليُشْهِدَ هذا المكان
وعُمَّاره من الملائكة والجن
(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) [الزلزلة/4]
وأنت تحس به لأنك تعبدت في أيام عشر ذى الحجة ولياليها.

فهناك حين يلقاك أخوك في العيد يهنئك بتهنئة بعض السلف : (تقبل الله منا ومنك) تحس بطعمها .

أما إذا كنت مثلي فستقول: ماذا يتقبل؟! ماذا صنعت؟! إنما أنا كما قال الشاعر:

قطعتَ شهورَ العام لهواً وغفلةً
ولم تحترم فيما أتيت المحرما
فلا رجباً وافيتَ فيه بحقه
ولاصمتَ شهرالصوم صوماً متمما
ولا في ليالي عشر ذي الحجة الذي
مضى كنتَ قواماً ولا كنت مُحرما
فهل لك ما يمحو الذنوب بعَبْرةٍ
وتبكي عليها حسرةً وتندُّما
وتستقبل العمرَ الجديد بتوبةٍ
لعلك قد تمحو بها ما تقدما؟!

وأما هؤلاء ففرحة بعضهم ليالى العيد :

- بالسهر في الملاهي والمعاصي .

- بالاستعداد لزيارة القبور بعد صلاة العيد رجالاً ونساءً !

- بذبح الأضحية ليلة العيد وعمل طعام العيد في الليل حتى إذا رجعوا من صلاة العيد وجدوا الطعام
فليست إذن أضحية إذا ذُبحت قبل صلاة العيد .
فإن كان يقصد بها اللحم لا الأضحية ولم يضحِّ
فما أحمقه وأعجله
إذْ يبادر للذبح للأكل
ويترك الذبح للطاعة والعبادة!
وإن كان يقصد بها الأضحية
فما أجهله إذْ يذبحها قبل وقتها .
ولو تعمد ذلك فهذه
بدعة شنيعة
ومحادَّة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
فاشغل نفسك :
بالصلاة
والذكر، والدعاء، والتكبير:
الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله
والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

قال الشافعي- رحمه الله: (أحب في ليلة الأضحى التكبير لمن لم يحج، فأما الحاج فذِكْرُه التلبية).
وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله عز وجل
من هذه الأيام ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه، وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء
فأكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد والذكر.
وذُكِر أن عبد الله بن عمر –رضى الله عنهما- كان يحيي ليلة جَمْع ، وهي ليلة العيد
(شعب الإيمان 309/7 والأم 1/ 231)
وذُكِر عن مكحول التابعي- رحمه الله- قال:
كنا نسمى ليلة الأضحى ليلة العابدين
[رواه السِّلَفي في السلماسيات 38] .
وقد أنشأت هذه القصيدة على فترتين
فمطلعها في أول حجة حججتها .
وبقيتها في أول حجة لم أحجها !:
ألا لبيك يا ربي ... بصدقٍ قالها قلبي
وما أنسى فلن أنسى ... ترائي كعبة الرب

وما كانت بأحلامي ... ولا كانت على دربي
وحيداً ليس لي صحبٌ ... كفاني الذكرُ عن صحبي
ولكن كدّر المسعى ... أناسُ السوء في قربي
فإن طافوا فيا بؤسي ... كأن الناسَ في حرب
وجوهٌ كلها سوءٌ ... عليها غضبةُ الرب

ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
لساني ليس ينطقها ... ألا فاشغله بالتوب
هناك الكل ينطقها ... لسان اليبس والرطب
وأحجارٌ وأشجارٌ ... على وادي منى الرحب
فمن لبى لها يسعى ... و إلا صار في الكذب
تلبي أنت في بيتك ... عجيب ذاك من عيب!
وما التعريفُ بالمغني ... فهل في ذاك من ندب؟
وأني نُطقُ تلبيةٍ ... وليست زمزم شُربي !
عليمٌ أنها عندي ... بلا مثْلٍ من العَذب

ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
عيوني ليس تبصرها ... وإن كانت على قلبي

فأين الكعبةُ الغرا ... وروٴياها شفا الصبِّ
وأنساكٌ فما تُنْسَى ... ولا تبلى على الدأب
منى عرفات والمشعرْ ... ورجم الخبث بالشهب
إذا عرفات قد صارت ... كبُعْد الشرق والغرب
كنجمٍ راح في أفقٍ ... وما حظي سوى الحجب
إذا عرفات قد غربت ... فكم للصبِّ من صبّ!؟
إذا خَلَّفْتَ واديها ... فكم خَلَّفْتَ من قلب!؟
ينادي: رب لا تجعل ... عن التحجاج من حجب
وآخر عهد من حجوا ... كموت الصبّ والصحب
وكم للناس من عبرٍ ... وبعض الذنب كالسُّحب
يهنِّي بعضُهم بعضاً ... وإني شاردٌ لُبِّي
فأمض الله حجَّتَنا .... فإن البوٴس في قلبي

ألا لبيك بالقلب ... ألا فلتبك يا قلبي
ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
إذا الحجاج قد راحوا ... وقد خُلِّفْتُ عن ركبي
أنا المحروم من خيرٍ ... هناك الخير بالصب
أنا الممنوعُ من عرفه ... وقد قُيِّدتُ بالذنب

أنا الممنوعُ مِن عرفه ... بغير النقص في الإرب
فلا زادٌ وراحلةٌ ... ولكن علة الدرب
فمثل اليوم من عام ... لقد كنا على القرب
و رِجْلي ما سَعَتْ يومي ... ولا طافتْ بذا الشعب
من الخيرات قد حُرِمَتْ ... وهذا أعظم الخطب

ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
يدي لم تَرْمِ جمرتها ... فما أضحتْ مِنَى جنبي
وقد وَكَّلْتُ مَن يَرمي ... لعذر البُعْد والرَّهْب
وما يَرمي الذى يَرمي ... ولكن قد رَمَى ربي
وما بي خوفكم لكن ... ذنوبي أوجفتْ قلبي
فأخشى أن يؤاخذني ... وأرجو العفوَ من ربي
إلهي عالمٌ أني ... على قربٍ على الغيب
وقد وَكَّلْتُ غفاراً ... قضى عني بلا ريب
إذا نابتك نائبةٌ ... فنِعْمَ الربُّ في الكرب

ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
ورأسي لستُ أكشفهُ ... بلا إحرامٌ ولا نَصْب

ورأسي لستُ أحلقهُ ... ليوم النحر يا كربي
فقد وفرتُ من شعري ... رجا الغفران للذنب
فياربِّي ألا فارحم ... على ما ازداد من شيبي

ألا لبيك بالقلب ... لمن مُنعوا عن الركب
أيمضي الناسُ للحج ... وإني لابسٌ ثوبي ؟
إلهي إنني راضٍ ... عن الأقدار والكَتْب
ولكنْ دعوتي دوماً ... بتوفيق إلى الدرب
ألا رحماك يا ربي ... فكلُّ البأس من ذنبي
وذنبي فوق ما ألقى ... وعفوُ الله بالقُرب
فمَن للضُّرِّ يكشفهُ ... ومَن يرضى بمغترب ؟
ومن للعبد ينصرهُ ... وما حولي سوى الحرب

رَضِيتُ الله لي رباً

لمَنْ أشكو سوى ربي؟!

رَضِيتُ الله لي رباً

ومَن يرضاه لم يَخِبِ

الباب السادس عشر
آخر ليلة في السنة العربية

لا أعلم فيها شيئا
إلا ما رُوي في صلاة مخصوصة فيها
وهو باطل.
وقال في الجامع البهي/ الباب (71): (سمعت أبا محمد بن موسى وسمعت فى كتاب[ابن] السني أيضًا ولم أجده في أصلٍ مسندٍ يوثق به، والله أعلم! بصحته برواية كعب الأحبار موقوفاً عليه)
فذكر صلاة، ثم دعاء يدعوه مراتٍ نحو هذا:
(اللهم ما عملتُ من عملٍ في هذه السنة مما نهيتَني عنه ولم ترضه
ونسيتُه ولم تنسه
وحلمتَ عني بعد قدرتك على عقوبتي
ودعوتَني إلى التوبة
بعد جرأتي على معصيتك
فإني أستغفرك منه، فاغفر لي .
وما عملتُ مما ترضاه ووعدتَني عليه الثواب

فأسألك أن تتقبله مني
ولا تقطع رجائي منك يا كريم) .
وهذا في مرآة الزمان (8/ 552- 553 وذيل الروضتين/ 74)
: علَّمني أبو عُمر المقدسي (أخو صاحب كتاب المغني ابن قدامة مات 607) دعاء السنة وقال:
(ما زال مشايخنا يواظبون عليه وما فاتني طول عمرى،، تقول في آخر يوم من السنة) فذكره قال:
(فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة، فأفسد فعلنا في ساعة).
وما ذكرته في أول ليلة من العام العربي يغني عن إعادته ها هنا.
غير أن انقضاء الأيام والليالي والأعوام
يذكِّر المرء بانقضاء عمره وقرب رحيله
كما رحلتْ هذه الليالى والأيام والأعوام لم تترك غير ذكرى حسنة أو سيئة، و الله المستعان، ولا يغفر الذنوبَ غيرُه .
فكذلك فانظر (آخر ليلة من العمر)

فإن آخر ليلة من السنة تذكِّرك بها .
إنها ليلة حزنٍ على ما فات من أيام كان يمكنك فيها أن تعمل خيرًا مما عملتَ
وألا تعمل سُوءَ ما عملتَ:
أليس من الخسران أن ليالياً
تَمَرُّ بلا نفعٍ وتُحْسَبُ مِن عمري
قيل : يا من يفرحُ بمرورِ السنين عليه
إنما تفرح بنقص عمرك !
قال أبو الدرداء رضي الله عنه :
يا ابنَ آدم، إنما أنت أيام
كلما مضى منك يومٌ مضى بعضك .
إنا لنفرحُ بالأيام نقطعها
وكلُّ يومٍ مضى يُدْني من الأجلِ
فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً
فإنما الربحُ والخسرانُ في العمل
قيل: كيف يفرح بالدنيا
مَن يومُه يهدم شهرَه، وشهرُه يهدم سنتَه، وسنتُه تهدم عمرَه، ويقوده عمرُه إلى أجله وحياتُه إلى موته ؟!

نَجِدُ سرورًا بالهلال إذا بدا

وما هو إلا السيفُ للحتف يُنتَضَى

إذا قيل: تمَّ الشهرُ فهو كنايةٌ

وترجمةٌ عن شطرِ عمرٍ قد انقضى

ولكن ستكون ليلة فرحٍ عظيمٍ !

نعم إذا ختمتَّها بخير واجتهادٍ وتوبة

فإنه (إنما الأعمال بالخواتيم)

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم إذا حمدتَ الله تعالى وفرحتَ بنعمته أنه أبقاك إليها ولم يقبضك دونها

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خيركم من طال عُمُرُه وحَسُنَ عمله .

فقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً مِن خلقه وفضلني عليهم تفضيلاً

كما علمك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا يومٌ جديدٌ كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول إذا طلعت الشمس كلَّ يومٍ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَالَنَا يَوْمَنَا هَذَا وَلَمْ يُهْلِكْنَا بِذُنُوبِنَا

الباب السابع عشر
آخر ليلة

إنـها مشيئـة الله تعالى
البَرُّ الرحيمُ الودودُ اللطيف.........
ما أطيبها من ليلة إن سبقتها ليالي الطاعات!
ما أشبهها بليلة العيد:
عيد الفطر وعيد الأضحى وليلة عاشوراء
لمن قضى قبلها ليالى وأيام العشر (عشر رمضان، وعشر ذي الحجة وعشر المحرم) في طاعة
فاسأله كيف يلقى العيد وتوسعة عاشوراء
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
للصائم فرحتان:
فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه .
حينها حينما يتلاقى المطيعان فى العيد فيقول كما كان بعض الصحابة- رضي الله عنهم- يقول للاخر: تقبل الله منا ومنكم .
دعاءٌ لا تقله إلا يومها لا بعد كل صلاة .

مرحباً بفراق الدنيا

إنها ليلة فراق الدنيا بما فيها !
أتعرف ما هى الدنيا، ولماذا سُمِّيَت الدنيا ؟!
قال سفيان الثوري- رحمه الله تعالى:
(كان يقال: إنما سُمِّيَت الدنيا بأنها دنية،
والمال لأنه يميل بأهله).
والذهب لأنه يذهب
والفضة لأنها تنفضُّ عنك
والدينار آخره النار
والدرهم آخره الحزن والهم !
قال الله تعالى:
فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة/55]
كيف تحب الدنيا وأنت تعصي الله فيها، ويعصيه
غيرك جهاراً أمامك ولا تملك تغييراً ؟!
كان سفيان رحمه الله تعالى
يمرُّ فيجد منكرًا لا يستطيع تغييره

فيرجع بيته ، فيبول الدم من الحزن ، ويقول :
إني لأهتمُّ فأبول الدم !
ويقول الطبيب : هذا بول رجلٍ فتّتَ الحزن كبدَه !
عنده دم ، فيبول الدم
أما أنا وأنت ممن ليس عندنا دمٌ فلا !
قلت :
دارٌ فيها يُعْصَى المولى ... ليست تلك الدار الأوْلى
فاطلبْ دارًا عند الأعلى ... نِعْمَتْ جارًا نِعْمَتْ أهلا
وقد كثرت الفتنُ فيها وبها
حتى وقع تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يمرُّ الرجلُ بالقبر فيقول: ياليتني مكانَك، ما به حبُّ الموت، ولكن خشية الفتنة على دينه.
وكان سفيان رحمه الله يكثر تمني الموت:
فقال له حماد بن سلمة: ما كثرة تمنيك الموت ؟
قال: وما يُدريني
لعلّي أدخل في بدعة
أو فيما لا يحلُّ لى أو في فتنة
أكون قد متُّ فسبقتُ هذا ! (تاريخ الخطيب 9/ 171)

هذا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟
قَالَ: «العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ» .
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:
(استراح من همِّ الدنيا) .
ذُكِر عن عيسى بن مريم- صلى الله على نبينا وعليه وسلم :
لا خيرَ في دارٍ
قد عُصِيَ الله- عز وجل- فيها
ولا تُدرك الآخرة إلا بتركها)
ألا يكفيك أنه
كلما زادتك الدنيا أنقصتك من الآخرة :
قال فُضَيل بن عِياض- رحمه الله تعالى :

لا يُعطَى أحدٌ من الدنيا شيئاً
إلا انْتُقِصَ من آخرته مثله .
وقال مالك بن دينار- رحمه الله تعالى:
بقدر ما تحزن للدنيا
فكذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك.
وبقدر ما تحزن للآخرة
فكذلك يخرج همّ الدنيا من قلبك .
وبقدر ما تفرح للدنيا
فكذلك تخرج حلاوة الآخرة من قلبك.
وصدق، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أكثروا ذكر هادم اللذات الموت :
فإنه ما كان في قليلٍ إلا كثره، ولا في ضيق إلا وسَّعه ـ الحديث.
بلى والله كلما زدتَ من الدنيا انتقصتَ من الدنيا!
أليس كلما زاد عمرك فيها يوماً
نقص عمرك منها يوماً ؟!
أليس كلما تمَّ أمرك فيها أعقب التمام النقصان فى المال والصحة ؟!

وكما قيل :
المرءُ يأمُلُ أن يعيشَ ... وطولُ عيشٍ قد يضرُّه
تفنى بشاشته ويبقى ... بعد حُلْوِ العيش مُرّه
وتفوته الأحداثُ حتى ... لا يرى شيئاً يَسُرُّه
وكما قيل:
من عاش يُفْجَع بالأحبة كلهم
وبقاءُ نفسك بعدَهم هو أفجعُ
ولما جاءت كنوز كسرى وقيصر
بكى عمر رضي الله عنه وقال:
ما أمسكتْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه ، ثم أعطيتُها لخيرٍ فيَّ؟
قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا .
فلو كان الخير كثرة المال وطول العمر والصحة لكان أوفر الناس من ذلك حقاً رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء .
وقد علمت ما قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل: يُبتلى المرء على قدر دينه .
قال بلال بن سعْد- من التابعين رحمه الله تعالى:
(كفى به ذنباً أن اللّه- عز وجل- يُزَهِّدنا في الدنيا، ونحن نُرَغِّب فيها !) .
قال الحسن البصرى- وهو من علماء التابعين- رحمه الله تعالى- في قول الله- جل وعلا:
(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام/44-45]
قال: (مُكر بالقوم وربِّ الكعبة، وأُعْطُوا حاجاتهم ، ثم أُخِذوا .
والله ما أحدٌ من الناس بُسِطَ له الدنيا فلم يَخَفْ أن يكون قد مُكر به فيها
إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه .
وما أمسك الله عن عبد من الدنيا فلم يظن أنه قد خُيِّر له فيها .
إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه).

ألا تنظر إلى مَصَارع أهل الدنيا وملوكها .
كيف تمنوا لو لم يكن لهم من الدنيا شيء :
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ
[الحاقة/28-29]
وانظر كيف ختم الله تعالى لعمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى وهو يقرأ: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص/83]
ماذا ترى في رجلٍ كان فى سجن ، والسجن سجن ولو كان ما كان، ثم أُطلق من سجنه فكيف ترى فرحه ؟!
فذلك المؤمن حين يُطلق من الدنيا
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .
قال عبد الله بن عَمرو – رضى الله عنهما :
إنما مَثَل المؤمن حين تخرج نفسه
كمثل رجلٍ كان فى سجن ، فأُخرج ، فجعل يتقلب فى الأرض ويتفسح فيها !

بلى والله فكيف تفرح بالدنيا
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها
إلا ذِكْرُ الله وما والاه وعالماً أو متعلماً .
الدنيا أهون على الله من الشاة الميتة على صاحبها .
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .
ألم تسمع
بقصة ذلك الملك الذي استسقى على عطش :
فقال له واعظٌ حَضَرَه:
لولم تُعْطَ شربة الماء إلا بنصف مُلكك
أكنتَ تفعل ؟!
قال: نعم.
فلما شرب قال له:
لولم تُعْطَ إخراج هذا الماء منك إلا بنصف مُلكك
أكنت تفعل ؟!
قال: نعم .

فهذا مُلْكٌ حقيرٌ لا يساوي شربة ماء !
فكيف بها وقد قال عليٌّ رضي الله عنه :
(حلالها حساب، وحرامها عقاب) ؟!
وفقرها حَزَن، وغناها فِتَن !
وطول المكث فيها نقصٌ منها !
قال عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما -:
" لا يصيبُ عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله .
أما يكفيك ما قيل: حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة؟!
وأن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النساء والطيب
وجُعلتْ قرةُ عيني في الصلاة)
النساء يعني الزوجات .
فإنما حُبِّبَ إليه طيبها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيباً لا يحب إلا الطيب
حُبِّب إليه ما يكون عوناً له على الطاعة
لا شاغلاً عنها .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع) .
بم يرجع ؟!
تعرف لماذا أحبوا الدنيا ؟!
- لأن هؤلاء لم يعرفوها
فوالله لو عرفوها حقَّ معرفتها ما أحبوها
فو الله لو كان فيها النعيم كل النعيم لكان العلم بأن الموت نهايته يكدر ذلك النعيم كله !
فكيف وليس فيها من نعيم إلا زائلٌ كما قال لَبيدٌ رضي الله عنها فيها :
ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ
وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ
فكيف وليس فيها من نعيم إلا وهو متكدر في نفسه بحسد حاسد وبغي باغ وضعف حال ؟
فكيف وحلالها حساب وحرامها عقاب، وكل وزن بوزن النمل وأقل ؟!
- لأن هؤلاء لم يعرفوا غيرها

قال بعض السلف:
إنك لن تعرف خطأ معلمك حتى تجلس إلى غيره
صاحب المرأة الواحدة امرأةٌ مثلها
إن غضبت غضب ، وإن رَضيت رَضي ، وإن
حاضت حاض !
بل بعضهم لا يظن أن هناك غيرها !
حتى لو ظن فعمله عمل من لا يظن !
فلو عرف الآخرة وما فيها
لهانت عليه الدنيا بما فيها ومن فيها !
فلم يبع الآخرة ليشتري دنيا زائلة !
أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟!
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ
[التوبة/38]
دخلوا على أبى ذر τ بيته
فوجدوه لا أثاث فيه !
فقالوا: أين الأثاث يا أبا ذر؟!
قال τ: كلما جاءني أثاث
وَجّهْتُ به إلى داري فى الآخرة !

نعم
فقلب الرجل مع ماله
فلو قَدَّمْتَه لتشتري به الجنة لتعلق قلبك بالجنة.
واعتبر في ذلك حال المسافر
قال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مالي وللدنيا
إنما أنا والدنيا
كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها
كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .
فالمسافر يكون كل شوقه أن يصل إلى داره
ولذلك يستعجل فى سفره .
والمسافر كلما جاءته طرفة أو مال
لم ينفقه بل قال: أجعله لداري هناك!
وليست داره بباقية، ولا هو لها بباق:
(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) [النحل/96]
فكم ممن اغترب السنوات الطوال وجمع، وكان حمار نهار جيفة ليل! ربما حمار ليل ونهار ثم مات قبل أن يتمتع بما يجمع !

بل تمتع به ورثته وسبُّوه ! ولم يذكروه بدعاء !
وتمتع به من تزوج امرأته بعده !
أفٍّ لهذه الدنيا
بل أفٍّ لعبيدها .
لما حج سليمان بن عبد الملك وقدم المدينة أرسل إلى أبى حازم سلمة بن دينار- رحمه الله تعالى، وكان ممن أدرك الصحابة رضي الله عنهم
قال سليمان: يا أبا حازم، مالنا نكره الموت؟!
فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة
فتكرهون الخروج من الخراب إلى العمران.
قال سليمان: صدقتَ
فكيف العرض على الله غداً ؟!
قال: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله .
وأما المُسيءُ كالآبق يُقدَم به على مولاه .
يعني
كالعبد الهارب من سيده
كالعبد الجاني فرَّ بجنايته ، فأمسكوه ، وذهبوا به إلى القصاص .

فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتد بكاؤه .
ترى ماذا يكون حالك مع الدنيا
إذا كنت كلما جاءتك منها نعمة قلت: الدنيا فانية،
فسوف أجعل هذه النعمة للدار الباقية
فلا تأكل إلا دون الشبع
ولا تأكل كل ما تشتهى
تدع ذلك للآخرة .
ولا تمتلئ نوماً لتوفر الوقت لتعمل للآخرة
فهؤلاء يُقلون نومهم ليعملوا لدنياهم !
يا حسرتاه أيكون عمال الدنيا أقوى وأنشط من
عمال الآخرة؟!
ترى كيف يكون حُبُّك حينئذ للآخرة؟!
قال الرَّبيع بن خُثَيْم التابعى الفقيه- رحمه الله
تعالى :
(مامن غائبٍ ينتظره المؤمن خيرٌ له من الموت)
فانتظره انتظار رجلٍ بُشِّرَ بقدوم غائبة حبيبة إليه
إنه خير غائب يُنتظر للصالح
وهو شر غائب للفاجر

ونحو هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قد كنتَ تعلم أنه لابد للدنيا من نهاية
ألم تكن ترى الناس من حولك قد تخطفهم الموت
واحداً بعد واحدٍ
بلا سنٍّ ولا ضعفٍ
إنما هو أجلٌ وقدرٌ
فقد جاء أجلك وقدرك.
قد كنت ترى نهاية شهر رمضان الذي أحببتَه،
فكيف حالك في آخر ليلة منه وفي ليلة الفطر،
فكذلك ذاك.
ذُكر فى وصية الصديق للفاروق – رضي الله
عنهما :
(إن حفظتَ وصيتي
لم يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت
ولا بد لك منه .
وإن ضَيَّعتَها
لم يكن غائبٌ أكرهُ إليك من الموت
ولا مفرَّ لك عنه) .

وذُكر في وصية العباس لابنه الحبر عبد الله -
رضي الله عنهما :
(إني موصيك
بحب الله وحب طاعته
وخوف الله وخوف معصيته
فإنك إذا كنتَ كذلك لم تكره الموت متى يلقاك .
وإني استودعتُك الله يا بني).
وقال أبو حازم التابعي العابد- رحمه الله تعالى:
(كلُّ عملٍ تكره الموت لأجله فاتركه، ثم لا يضرك متى متَّ) .
يا لها من فرحة :
نعم حين تفارق الدنيا وقد نجوتَ من الكبائر.
انظر كيف يكون فرحك بعد هربك من عدوٍّ لدودٍ يطاردك ليقتلك أو ليقطعّك
ثم ذهبتَ إلى حِرْزٍ حَريزٍ وحصنٍ حَصينٍ منه فلا ينالك فيه .
هذا المثَل قصّه رسول الله علينا من قول يحيى بن زكريا – صلى الله على نبينا وعليهم وسلم

(آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ
فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ) .

قال طاوس التابعي العابد رحمه الله تعالى :
إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَحْرُزُ دِينَهُ إِلَّا حُفْرَتُهُ .

أليس الطريق الوحيد إلى الخلاص من الدنيا وآفاتها وإلى لقاء الله تعالى :
هو الموت ؟!

قد قيل في فضل الحياة فأكثروا
للموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعْرَفُ
منها أمانُ لقائه بلقائه
وفِراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنصف
جزى الله عنا الموت خيرا فإنه
أَبَرُّ بنا مِن كل بَرٍّ وأرأفُ
يُعَجِّلُ تخليصَ النفوس من الأذى
ويُدني من الدار التي هي أشرفُ

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ
فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
جزى الله المهيمنُ نفسَ حُرّ
تصدقَ بالوفاة على أخيهِ !
إذا أبصرتُ قبراً قلتُ: شوقاً
ألا يا ليتني أمسيتُ فيه !
نعم إنه سفرٌ بعيدٌ وزادٌ زهيدٌ
ولكن:
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة/40]
قل كما علمك رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ، فهو سفرٌ ، وأيُّ سفر ، سفرٌ لم ولن تسافر مثله :
اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ
اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا بِنُصْحِكَ، وَاقْلِبْنَا بِذِمَّةٍ
اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

فلا خوفٌ ولاحزنٌ إذن :
فكيف يحزن مَنِ الله Y خليفته في أهله ؟!
وكيف يخاف مَنِ الله صاحبه في سفره ؟!
فهل كنتَ وأنت في أهلك ترعاهم بحولك وقوتك أو بحول الله وقوته ؟!
وهل كنتَ أنت الذي ترزقهم، أو الله هو الذي يرزقك وإياهم ؟!
قد قال جل وعلا:
(نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) [الإسراء/31]
(نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [الأنعام/151]
وقيل: لا تهتمَّ بأرزاق من تُخلف
فلستَ بأرزاقهم تُكَلَّف
أفإن تركتَهم إلى مال أو بشرٍ مثلك تستريح!
وإنما تركتَهم حينئذٍ إلى ريح !
فإن كنتَ صالحاً: أتدري لمن تركتَهم ؟!
ألا تعلم قول الصديق رضي الله عنه وهو حيٌّ يقول: (تركتَ لهم الله) ؟!
ألا تعلم قول أم إسماعيل للخليل

آلله أمرك بهذا؟
إذن فلن يُضيّعنا .
ألستَ إنما تتركهم لمن هو أرحم بك وبهم منك ومنهم ؟!
بل لمن الرحمة التي بقلبك هي منه ؟!
ولمن هو أقدر عليك وعليهم منك ومنهم؟!
إذا كنتَ حينما توكل أمراً إلى رجل مثلك تثق فيه من صاحب أو قريب فتستريح
لثقتك به أنه سيقوم بما وكل إليه ومالم يوكل إليه على خير حال
فكيف لا تستريح وقد وكلتهم إلى خير وكيل:
حسبنا الله ونعم الوكيل
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن الله إذا استُودِعَ شيئاً حفظه .
فكان صلى الله عليه وسلم إذا ودع مسافراً قال:
أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.
وكما استودعتَهم
فاستودع نفسك واحتسبْها

كما صنع الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهم .
فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

مرحباً بالموت

ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيءَ ملك الموت إلى داود النبى- عليه السلام .
فقال له داود: أنت ملك الموت، مرحباً بأمر الله.
وقال معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما - حين حضرهما الموت:
مرحباً بالموت، حبيبٌ جاء على فاقة (أي على فقر منا إليه وحاجة) :
وقد علمت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسابقون إلى الجهاد للاستشهاد :
الرجل يقول لابنه: اجلس أنت مع النساء وأخرج أنا !
فيقول الولد لأبيه: لو كان غير الجنة لآثرتك بها!
فيستهمان (أي يقترعان)
فأيهما صارت القرعة له خرج !

وحتى يقول قائلهم عَمرو بن الجَموح إذا خرج:
اللهم لا تردني إلى داري!
وحتى يقول قائلهم كعامر بن فُهيرة وحرام بن ملحان حين تصيبه الطعنة القاتلة:
فزتُ وربِّ الكعبة !
وحتى يقول الربيع بن خُثَيم التابعي الفقيه العابد - رحمه الله تعالى- لابنتة إذْ تبكى وهو يحتضر:
لا تبكي
ولكن قولي: يا بُشرى، اليوم لقي أبي الخير .
قد قال الله تعالى: لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
[الأنبياء/103]
فمن لا يحزنه الفزع الاكبر
فهل يحزنه فزعٌ دونه ؟!
إن الله تعالى هو الودود البر اللطيف الكريم أرحم الراحمين
قد عاينتَ مِن كرمه ووُدّه وبره ولطفه ورحمته في الدنيا ما عاينتَ
وعلمتَ عياناً قوله جل وعلا :

فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً
[النساء/19]
وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [البقرة/216]
ألم تكن تدعوه بما علمك رسوله صلى الله عليه وسلم:
اللهم أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي
وتوفني إذا علمتَ الوفاة خيراً لي .
فقد آن، فلا تبتأس، فان الله تعالى يكره مساءة عبده المؤمن، فإذا قضى عليه الموت حبَّب الموتَ إليه.
كيف لا
والموت هو الطريق الوحيد لفراق الدنيا بما فيها ولقاء الله تعالى ؟!
لما قَتل علي رضي الله عنه عَمرو بن عبد ودٍّ في يوم الخندق
قالت أم عَمرو تعزي نفسها في ابنها :

لو كان قاتل عَمرٍو غير قاتله

ما زلتُ أبكي عليه دائمَ الأبدِ !

لكنَّ قاتله من لا يُقاد به

من كان يُدْعَى أبوه بيضةَ البلدِ

مرحباً بلقاء الله

ذُكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :
(ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله- عز وجل).
ذُكر أن الصدّيق رضي الله عنه كان يدعو:
اللهم اجعلْ خيرَ أيامي يوم لقاك .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ
فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي
وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ .
وقد ذكر عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنك لن تجد فقدَ شيءٍ تركتَه لله

أي أن مَن ترك شيئاً لله أبدله الله خيراً منه
فها أنت ذا تترك الدنيا لله تعالى .
وقد رأيتَ ذلك في الدنيا حينما تركتَ شهوةً
فعَوَّضك منها لذة خير وراحة قلب وقرة عين
لم تكن لتجدها لو لم تفعل .
قال أعرابيٌّ في الحج :
اللهم لا تمنعني خير ما عندك بشَرِّ ما عندي
اللهم إن كنتَ لم تقبلْ مني تعبي ونَصَبي
اللهم فلا تحرمني أجرَ المصاب على مصيبته
فها أنا ذا صابرٌ على الموت وشدته لك
وأنت القائل:
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[الزمر/10]
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة/156]
لما احتُضِرَ الحسن بن علي – رضي الله عنهما-
قال: (اللهم أحتسبُ نفسي عندك)
اللهم أستودعك نفسي
والله (إذا اسْتُودِعَ شيئاً حفظه)

كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فالله
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [يوسف/64]
قال الحسن البصري- رحمه الله تعالى:
(لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم تعالى في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا)
[الحلية 2/ 159 والمؤتنف 131-132/ ق]
فالآن تَقْدُمُ على ربك الذى آمنتَ به
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ [الأنفال/40] .
رأى أعرابيٌّ جنازةً فقال: بخ بخ (يستحسن الحال)
فقيل له: تعرف الميت؟!
قال: لا ، ولكني أعلم أنه قد قدم على أرحم الراحمين [الطيوريات 1/49و2/61ق]
كيف لا ترحب بالموت وهو طريق لقاء الله تعالى أرحم الراحمين، قديم الإحسان :
الذي لم تأتك ولا من تحب نعمة إلا منه
الذي هو أرحم من الوالدة بولدها

قال سفيان الثوري- رحمه الله تعالى:
ما يسرني أن يحاسبني أبي وأمي بدل محاسبة ربي !
صدقتَ
فمَن الذي جعل فى قلب أبيك وأمك الرحمة بك مَن غير الله تعالى أرحم الراحمين؟!
كيف لا ترحب بالموت وستلقى الله تعالى الذي عبدتَه فى الدنيا بالغيب وأحببته ولم تره
لكن رأيتَ كرمه ورحمته وعظمته.
انظر إلى هؤلاء كيف يتمنون لقاء من يحبون وما يحبون : وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ [البقرة/165]
وقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ:
أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ
وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ .
لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

بل حتى مِن نفسه التي بين جنبيه !
ألم تكن تسأل في الدنيا
بما كان يدعو رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ
أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي
وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي
أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ
فقد آن الأوان.
ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه :
أحب الموت اشتياقاً إلى ربي .
ولذلك فإن السحرة حينما أسلموا لله رب العالمين
ولم يرهبوا تخويف فرعون وعذابه:
قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [الشعراء/50]
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ
وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.
فقالت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ــ
رضي الله عنها : يا رسولَ الله، و أيُّنا لا يَكْرهُ
الموت؟!

قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِه، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ
(المؤمن إذا حُضر جاءه البشيرُ من الله عز وجل لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يكون قد لقي الله وكان الله للقائه أحبَّ) .
فما أطيبها من بشرى
وما أطيبه من لقاء للذي كنت تحبه في دار الدنيا وتصوم له النهار وتقوم له الليل وترجوه .
وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
المؤمن حين ينزل به الموت يعاين ما يعاين ودَّ أنها قد خرجت ، والله يحب لقاءه.
ولما احتُضر أبو هريرة رضي الله عنه، فدخل عليه من قال له: شفاك الله
فقال أبو هريرة:
اللهم إني أحب لقاءك، فأَحِبَّ لقائي .
ودخل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شابٍّ

وهو فى الموت: فقال له : كيف تجدك؟
قال: أرجو الله، وأخاف ذنوبي.
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمَّنه مما يخاف.
وقال واثلة رضي الله عنه لمريض يعوده: كيف ظنك بربك ؟
قال: حَسَنٌ .
فكَبَّر واثلة، وكَبَّر أهلُ البيت بتكبيره
وقال: أبْشِرْ ، فإني سمعت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: قال الله عز وجل:
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، ، فليظن بي ما شاء.
ولذلك قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ .
وأتى صفوان بن سُليم محمد بن المنكدر- التابعي العابد- وهو في الموت، فما زال يُهَوِّن عليه وينجلي عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح، ثم قال له محمد :

لو ترى ما أنا فيه لقَرَّتْ عَيْنُك
ثم مات رحمه الله تعالى.
ولما احتُضِر عمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى- وعلم أنه الموت قال :
(ربي خير مذهوبٍ إليه) .
إنك تقدم على من تحبه
فلنِعْمَ المَقدم، ولنِعْمَ هو- جل وعلا .
عادوا مكحولاً التابعي الفقيه في مرض موته، فدَعَوْا له بالعافية، فقال:
(اللحاق بمن ترجو خيره
خير من المقام عند من لا تأمن شره)
وكان الغالب عليه الحزن
فلما دنا رحيله ضحك وقال:
(ولم لا أضحك
وقد دنا فراقُ مَن كنت أحذره من أهل الدنيا
ودنا القدوم على من كنت أرجوه وأؤمِّله) ؟!
دخل سُحنُون الفقيه العابد (مات 240) رحمه الله عَلَى مَرِيْضٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا القَلَقُ؟

قَالَ لَهُ: المَوْتُ وَالقُدُوْمُ عَلَى اللهِ.
قَالَ لَهُ سحْنُوْنُ: أَلَسْتَ مُصَدِّقاً بِالرُّسُلِ وَالبَعْثِ وَالحِسَابِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَالقُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، وَأَنَّ اللهَ يُرَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى، وَلاَ تَخْرُجُ عَلَى الأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا.
قَالَ المَرِيض: إِيْ وَاللهِ.
فَقَالَ سحنون: مُتْ إِذَا شِئْتَ، مُتْ إِذَا شِئْتَ !
- وقال حسان بن أبي سنان- التابعي العابد رحمه الله تعالى- وقد حضره الموت:
ينبغى للمؤمنين أن يَسْلوا عن كرب الموت وألمه لما يرجون من السرور في لقاء الله- عز وجل.
- ولما احتُضر آدم بن أبى إياس شيخ البخاري- وهو من العلماء العُبَّاد رحمه الله تعالى- قال: (توسلت إليك) بحبي لك إلا رفقتَ بي في هذا المصرع، فقد كنت أؤملك لهذا اليوم .
وكان آخر ما قال عبد الأول السجزى المحدِّث

المشهور (458-553) أن قرأ :
قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ [يس/26- 27]
قال الشاعر في رثاء ميت:
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّهُ
شتان بين جواره وجواري

مرحباً بالملائكة

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ[فصلت/30-32]
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ
نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ
مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي حَمِيدَةً إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ وأَبشري برَوْحٍ ورَيْحان وربٍّ غير غضبان.
فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج.
ولما احتُضر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُيِّر بين الحياة والموت، فاختار الموت وقال:
الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل و إسرافيل.
ولما احتُضِر سلمان رضي الله عنه أمر بفتح الأبواب ، ورش المسك حول فراشه،
وقال: إن لي اليوم زواراً.
ولما احتُضِر عمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى- قال:
مرحباً بهذه الوجوه
ليست بوجوه إنس ولا جن.
ولما احتُضِر محمد بن واسع رحمه الله تعالى (مات 123) قال:
مرحباً بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مرحبًا بلقاء الأحبة:
محمدًا صلى الله عليه وسلم وحزبه

يا لها من فرحة

إنه لم تبق إلا لحظاتٌ ويلقى هؤلاء الأحبة

هذا هو رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لما خُير بين طول الحياة أو الموت، قال:

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء/69] .

ولما سئل : من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة.

فقال وهو يحتضر: إنه ليهوِّن عليَّ الموت أني رأيتُ بياض كف عائشة في الجنة.

و لذلك تمنى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتها قبله ليلقاها (وددت أنك متِّ قبلي).

ولما احتُضِر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءته ابنته فاطمة- رضي الله عنها -

سارّها أنه ميت في مرضه هذا، فبكت لفراقه.

فسارها أنها أول أهله لحوقاً به سيدة لنساء العالمين، فضحكت.
وكيف لا تضحك وهى تقدم على أبيها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنِعْمَ البشرى.
ولذلك بشَّرها به ، وبشَّر كذلك بعض نسائه:
(أسرعكن لحوقاً بي أطولكم يداً) يعنى بالصدقة.
وكان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب إلى جذع، فلما فارقه وخطب على المنبر حنَّ إليه الجذع بصوت سمعه الناس، فنزل إليه ، فاعتنقه، فسكن، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لو لم أعتنقه لحنَّ إلى يوم القيامة.
فكان الحسن البصرى- رحمه الله تعالى- إذا حدَّث بهذا الحديث بكى وقال:
هذه خشبة تحنُّ إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .
وذكر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صفة المؤمن التي يذوق بها حلاوة الإيمان:
يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

يودُّ لو رأى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ولو فقد أهله وماله.
فالآن يراه، فماذا يحزنه من فراق الأهل والمال؟
كان خالد بن معدان- التابعي رحمه الله تعالى-
قلما يأوي إلى فراش مَقيله إلا وهو يذكر شوقه
إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأصحابه من المهاجرين والأنصار
ثم يسميهم ويقول:
هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنُّ قلبي طال شوقي
إليهم فعجِّلْ ربي قبضي إليك.
حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك [الحلية 5/ 210].
قال عثمان رضي الله عنه يوم موته :
إني رأيت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في المنام البارحة، ورأيت أبا بكر وعمر رضي
الله عنهما، وإنهم قالوا:
اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة.
وقال عبد الله بن العباس لأم المؤمنين عائشة
بنت الصديق- رضي الله عنهم ، وهي في الموت
:

أبشري، فو الله ما بينك وبين أن تفارقي كل نَصَبٍ (أي تعب) وتلقين رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأحبة
إلا أن يفارق رُوحك جسدَك.
ولما احتُضر الحَسن بن علي قال له أخوه الحسين رضي الله عنهم :
إنما تَقْدُم على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى علي وفاطمة و خديجة وهم ولدوك.
ـ ولما دنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال:
اليوم ألقى الأحبة محمدًا وصحبه.
وقال بلال رضي الله عنه حين حضرته الوفاة:
غداً نلقى الأحبة: محمداً وحزبه.
تقول امرأته: واويلاه
ويقول هو: وافرحاه !
ومَرُّوا على رجلٍ يوم القادسية وقد قُطِعَتْ يداه ورجلاه وهو يفحص وهو يقول:
مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً
[النساء/69]

ورُؤي سفيان الثوري- رحمه الله تعالى- بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل بك ؟
قال: لقيتُ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحزبه.

فرحة الصالحين مِن حوله

نعم يفرحون به.
أن رأوا حُسْن خاتمته.
وعلموا أنه يَقدم على مَن هو خير له منهم: على رب العالمين .
وعلموا أنهم مأجورون بفراقه.
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون... وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالعطاء .
وقُتل رجلٌ وابنه في قتال الكفار
فقالت المرأة وهى الزوجة والأم للنساء:
إن كنتن جئتن لتهنئتي فمرحباً بكنَّ .
وقال الله تعالى: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ [التغابن/11]
قيل: هي المصيبة تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله- عز وجل، فيسلِّم لها ويرضى .

وكم من السلف الصالح- رحمهم الله تعالى من تمنى موت من يحب ليحتسبه!:
حتى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ابنيه:
لأن أكون قد نفضتُ يدي من تراب قبورهم
أحبّ إليَّ من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه !
وحيما احتُضِر عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال له أبوه – رحمهما الله تعالى :
يابني لأن تكون في ميزاني
أحب إليَّ من أكون فى ميزانك .
يعني لأن تموت قبلي فأحتسبك عند الله .
فقال الولد البار:
يا أبت، والله لأن يكون ما تحب
أحب إليَّ من أن يكون ما أحب!
حينما يرون حُسْن خاتمتَه
يفرحون له
وكم منهم من يتمنى لو كان مكانَه

لما صلى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جنازة ودعا لها
تمنى غير واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم أن يكون مكان هذا الميت .
وحينما تشتد الفتن
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يمرُّ الرجلُ بالقبر فيقول: ياليتني مكانَك، ما به حبُّ الموت، ولكن خشية الفتنة على دينه.
فكيف إذا اجتمعت شدة الفتن والختام الحسن ؟!
وكأنه يبتسم لهم ويقول :
يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ [يس/26و27]
وأنت الآن حيٌّ
فاعمل لتلك الليلة
فإنها والله آتيةٌ ، وكل آتٍ قريب .
اللهم اعصمنا وارحمنا فيما هو آت
اللهم اغفر لنا وأْجُرْنا فيما قد فات
اللهم بَلِّغْنا بفضلك ورحمتك أعلى الدرجات
آمين .

مضامين الكتاب

هذا الكتاب

دعوة إلى قلبك ليقترب من ربك
عمرك رأس مالك
فما بالك تنفق دراهمه ودنانيره
ليس بسخاء الكرماء
لكن بسفه السفهاء ؟!
أما تعلم أنك محاسَب عن كل لحظة ؟!
أما تعلم أنك ستندم على كل لحظة ؟!
حينما تكون على فراش الموت
حينما تكون في قبرك ليس معك غير عملك
حينما تقوم القيامة وكلهم يفرُّ منك إلا عملك
حينما تتطاير الصحف وفيها بيان عملك
حينما تقف أمام ربك حتى ولو عفا عن عملك
هل هذه أحلام منام ؟!
افتح عينك
الحمد لله ما زلتَ حيًّا
أدركْ العمل قبل انقضاء الأجل
والله المستعان .